معنى الحب

(دراسة علمية نفسية)

د . عادل صادق



معنى الحب

الطبعة الثانيه



الناشر

مؤسسة حورس الدولية

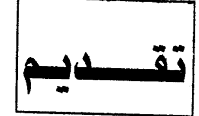
١٤٤ شارع طيبة - سبورتنج - إسكندرية

تليفون ٥٩٧٢١٧١ فاكس: ٤٩٢١٢٨٤

رقم الإيداع: ٩٩/٧٢٧٤

الترقيم الدولى: X - 19 - 5903 - 977

تصميم الغلاف : طارق عبد الغنى



تقديم

تؤكد كل نظريات علم النفس على أهمية الحب والعمل لتحقيق التوازن النفسى للإنسان .. وبدون ذلك يسقط الإنسان في دائرة القلق والضياع ويدخل في جحيم الإكتئاب .

بل إن النظرية الأساسية في التحليل النفسى التى تفسر ظهور الإكتئاب تشير إلى أن فقد موضوع الحب هو وراء ظهور أعراض الإكتئاب . حين يفقد الإنسان موضوع حبه يفقد كل رغبة في الحياة وقد يفكر في إنهاء حياته وذلك قمة الإكتئاب .

.. والسؤال التقليدى الذى يطرح نفسه هو هل يأتى الحب في أهميته لحياة الإنسان قبل رغيف العيش أم العكس .. ؟

إن عالم النفس الشهير « ماسلو » أجاب عن هذا السؤال من خلال هَرَمِه الشهير وهو هرم بناء الشخصية حين أكد على أهمية تلبية إحتياجات الإنسان الأولية من طعام وشراب قبل أن نصعد إلى درجة أعلى وهى تلبية إحتياجاته العاطفية ورغبته في تأكيد ذاته .. إلا أن ما يحدث في عالمنا المعاصر يدلل على عدم صحة هذا الرأى حيث تحظى أكثر الدول ثراء بأعلى نسب إنتحار بالرغم من حالة الاشباع حتى

التخمة لكل الاحتياجات المادية للإنسان . كما أن الدول التى تتمتع بالحرية الجنسية المطلقة تحظى بأعلى نسبة في إنتشار جرائم الإغتصاب وهتك العرض .

.. هذا يدلنا على أن تلبية الاحتياجات المادية والغريزية للإنسان لا تحقق له السعادة والاستقرار النفسى ..

.. ولذا لا مفر من العودة إلى فطرة الإنسان .. العودة إلى الجوهر الحقيقى للإنسان . لابد من العودة إلى روح الإنسان وتلبية إحتياجها الأساسى وهو الحب . أعظم صلة روحية .. إنه الضمان الوحيد للاستقرار النفسى والسعادة .

.. والأستاذ الدكتور عادل صادق وهو أحد مشاهير الطب النفسى في عالمنا المعاصر يقدم لنا « روشتة » مكتوب فيها دواء واحد لكل متاعب الإنسان وآلامه وهو (الحب) ..

.. هذا هو الكتاب الثامن عشر للإستاذ الدكتور عادل صادق والتى أثرى بها مكتبتنا العربية والحاصل على جائزة الدولة لتبسيط العلوم لاسهامه الثرى في توصيل الطب النفسى لكل الناس بمستوياتها المختلفة .

المقدمة

.. بعد أن قرأت كثيرا عن الحب ، وبعد أن إنتهيت من هذا الكتاب عن الحب ، أتصور أن الحب ليس بحاجة إلى أن نكتب عنه ، بل إن الكتابة عنه تنال من بعض قدسيته .. وأبسط إنسان يعرف عن الحب مثل أعظم فيلسوف .. ورب إنسان بسيط أحب يدرك من معانى الحب ما يعجز الفيلسوف عن فهمها .

.. إن الكلمات أحيانا تنال من براعة المشاعر .

د . عادل صادق

الفصل الأول

سر الحب

.. إنه سر الأسرار .. يعلو على الزمان والكلمات .. سر قدسى .. سر غامض .. شيء غير موصوف .. ضياء إلهى يشمل جنبات النفس فتشع خيراً وجمالاً ودفئاً .. نور يشمل الكون كله مصدره النفوس العاشقة ولا تدرى أنها المصدر ..

□ □ □

.. لا نستطيع أن نعبر عنه بكلمات محدودة لأن الكلمات رموز وصفية وهو يجل عن الإحاطة والوصف .. الكلمات تعبر عن مشاعر محدودة وتصف أشياء معينة من داخل النفس وخارجها ، ولكن الحب هو حقيقة شاملة ، قمة شامخة وعمق أبدى .

□ □ □

.. هو اللا متناهى والأبدى والخلود فأين الكلمات التى تصف بدقة هذه المعانى ، ومن الذى يصف ؟ أهو العاشق ؟ وأى عاشق !! .. أم كل العشاق مجتمعين ؟ وهل تتشابه خبرات الحب ، أم هو تجربة ذاتية فريدة شأن كل الظواهر السامية !! فما بالك وهو قمة هذه الظواهر سمواً ونقاءً وطهراً وخيراً وجمالاً ..

.. إنه خبرة إنسانية متكاملة لا نستطيع فهمها إلا في حالة ممارستها والمرور بها شخصياً .. إنها تستعصى على فكر ووجدان المتأمل والفاحص والمراقب والناظر والباحث والفيلسوف والعالم .. ورب إنسان بسيط يهيم في الربى لا يشغله غير رزق يومه ، ولا يدرك من حقائق الكون إلا ليله ونهاره وشمسه وقمره وأرضه وسماه ، ولا يملك غير نفس صافية خيرة ، رب هذا الإنسان يدرك من معانى الحب حين يحب ماهو أعمق من إبداعات عقل مفكر لم يخطف الحب روحه يمزجها بروح إنسان آخر .

□ □ □

.. إنه مثل القوى التى لا تُرى ، ولكنها تُحس وتؤثر في وجودنا وتؤثر في حركة الكون ، فتظل السماء فوق رؤوسنا بلا عمد ، وتظل الأرض راسخة برواس لا ندرى غورها ، وتطلع علينا الشمس فننعم بالنور والدفء وتدب الحياة ، ويطلع علينا القمر فنستأنس بنوره ، وتهب علينا رياح لا ندرك مصدر حركتها ومبعث قوتها فتحمل سحاباً لتسقى به أرضاً ميتة وتنقل حبوب اللقاح لتثمر أشجاراً ووروداً .

الحب هو أحد هذه القوى الكونية العجيبة حين يربط روح إنسان بروح إنسان آخر .. هذه الرابطة التى لا تستطيع أى قوة أخرى أو كل القوى مجتمعة أن تصنعها ..

□ □ □

.. هكذا ببساطة - كما يبدو ظاهرياً - يلتقى إنسان بإنسان .. يتلاق وعيان .. قلبان .. روحان .. فيتعانقان .. يمتزجان .. يذوبان .. وتتأصل الروابط في ماضٍ لم يكن قد إلتقيا فيه ، وتمتد إلى مستقبل لم يعيشاه بعد .. هكذا من شدة العناق تضيع حدود الزمان ليعيشا التجربة الخالدة الفريدة

التى تفوق حدود المشاعر والانفعالات التى يمر بها أى إنسان .. تُطهر وتدفىء وتضىء وتنعم .. تسبغ الخير وتضفى الجمال وتكسب المعنى .. معنى الوجود .

□ □ □

.. أى سر عظيم !! سر لا تدركه إلا الأرواح المتحابة فهو سر كائن في أعمق الأعماق ، وهو ليس مثل أسرار الكون الغامضة التى يحاول العلم أن يفك طلاسمها ، وهو ليس مشكلة علمية معقدة يجتهد العقل في فهم رموزها ، ولكن غموض الحب إنه كائن في أعمق الأعماق . إنه مرتبط بصميم الذات الإنسانية ، وكل ذات متفردة . لا توجد قوة مماثلة تربط بين القلوب .. إنه مباغت وخالد في نفس الوقت ، وليس له أسباب أو مبررات ، ليس له مقدمات ، إنه قوة فعالة ومحركة تغير في الإنسان .. ترفعه درجات إلى سماء السمو والطهر حتى تصل به إلى القمة .

□ □ □

هذه القمة لا يبلغها إلا العاشقون حين تنفتح أمامهم سبلاً جديدة وممتدة نحو آفاق أرحب من الجمال المطلق والخير المطلق وحيث يمسكون بأسباب الحقيقة .. حقيقة الوجود .. وتلك نشوى لا تدانيها نشوى .. وذلك سرور لا يعادله سرور .. إنه إنكشاف السر الأعظم .. سر لماذا أنا موجود .. ما معنى أنا إنسان .. وذلك أول لقاء فعلى بين الإنسان ونفسه ، وبين الإنسان والكون ، وبين الإنسان ومصيره .. كل ذلك لا يتحقق إلا حين تلتقى ذات عاشقة بذات عاشقة آخرى .. أى سر إلهى عظيم !! أى قوة كونية خارقة !! .

.. ولعل صعوبة وصف الحب في أنه مزيج من الانفعالات التى تختلط وتتواجد في آن واحد . ذلك الخليط من الفرح والحزن والسعادة والشقاء والألم والراحة والقلق والإسترخاء والعذاب والطمأنينة والخوف .. كل هذه المشاعر مجتمعة أو متناوبة تحقق حالة من النشوى .. حالة غريبة محيرة يتواجد عليها الشخص العاشق .. يحار في وصفها ولكنه يتمسك بها لأنها تخلقه خلقاً جديداً .. خليط من المشاعر يمتزج فيخلق حالة إنفعالية لا يدركها إلا من عايشها .. ومن عايشها يستعذبها .. يدمنها ..

ليتشبث بها ، فمن خلالها يدرك مالا يدركه أحد ، ويرى ما لا يراه أحد .. من خلالها يعيش حياة جديدة .. إنه ميلاد جديد . ميلاد عبقرى . إنها مثل إنفعالات المبدعين في لحظات الابداع والتى يصعب وصفها ، ولكن يمكن وصف استجابة النفس والجسد لها حين يستشعران ألماً وسعادة في آن واحد .. إنها من تأثير الإلهام الإلهى على النفس والجسد . وربما تتشابه معها من بعيد تلك اللحظات التى تعيشها الأم وهى تأتى بمخلوق جديد إلى الوجود حين يجتمع الألم والسعادة فينشأ عنهما تجربة إنفعالية فريدة لا تدركها إلا من عايشتها .

هناك سر في لحظات الابداع .. وهناك سر في لحظات ميلاد طفل .. وسر الأسرار هو الحب . ولا يدرك هذا السر ولا ينكشف للعاشق إلا بالمعاناة .. إنها معان تجل عن الوصف .

□ □ □

.. صعوبة فهم الحب ووصفه تأتى من عدم القدرة على التوصل إلى الأسباب التى جمعت بين روحين .. لماذا أحبها .. ولماذا أحبته .. لماذا هى بالذات ، ولماذا هو بالذات .. لماذا لم يحب غيرها رغم أن هناك من

يفضلها .. لماذا لم تحب غيره رغم أن هناك من يفضله .. لماذا هما الإثنان معاً بالذات .. ولماذا لم يحب غيرها حين إلتقى بعد ذلك بمن هى أفضل منها .. ولماذا لم تحب غيره حين إلتقت بعد ذلك بمن هو أفضل منه !!

.. هذا هو السر وخاصة حين نعرف أن المحب يرى أن محبوبه هو أجمل من خلق الله حتى وإن إختلف كل الناس معه .. وهو ليس جمال الميزات والصفات مثل جمال الجسم والوجه ، ولكنه الجمال الذى يشع من الذات الإنسانية الشاملة .. الذات ذاتها .. الإنسان نفسه .. الكل متكاملاً وليس أجزاء متفردة متفرقة .

المحب لا يرى محبوبه ككائن حاضر فقط ، ولكنه يرى ماضيه ، ويرى مستقبله .. يرى الأصول الطيبة لماضيه والجذور الثرية الضاربة فى أعماق صباه .. يرى بذرة الخير الأولى التى تحمل عناصر النماء والإثمار .. ثم يرى المستقبل المزدهر بالسمو والطهارة .. يلمس ذلك الماضى ويرى ذلك المستقبل حتى وإن لم يتفق ذلك مع الحاضر ، حتى وإن كان الحاضر مليئاً بالعيوب الظاهرة .. العيوب السطحية .. العيوب التى تشوه الجمال الخارجى . ولكن المحب بقلبه ، بعقله ، بحدسه ، بباطنه ، بسحر الحب ، بالسر الالهى ، بالقوة الكونية الخارقة ، بكل هذا يستطيع أن يلمس وأن يرى مالا يلمسه ومالا يراه أحد .. يستطيع أن يدرك الجمال الحقيقى الذى ينضح به حبيبه . يدركه وهو مغمض العينين فيهتف من أعماقه : سبحان الخالق لهذا الجمال . ما أجمله من مخلوق لم أر مثله فى حياتى الماضية ولن أرى مثله فى حياتى المستقبلة .

□ □ □

.. أنت الجمال المطلق وأنت الخير المطلق يامن أحببت . ولذلك فحبى لك يختلف عن حبى لأى شيء آخر ولأى ذات آخرى .. حبى للأشياء

والموضوعات والذوات الآخرى مبنى على قدر ما تتمتع به من مزايا وسمات وصفات .. وهو أيضاً حب مبنى على النسبية . فالأشياء والموضوعات والذوات تعرف بالمقارنة إلى بعضها البعض .. وهو أيضاً حب مبنى على مدى ما تحققه لى هذه الوسائل من إشباع .. ولكننى ياحبيبى أحبك لذاتك .. لاطلاقك .. لكونك أنت .. مجرد أنت وهذا يكفى .. ولذا فأنا أريد أن أحتفظ بكلمة حب وبكلمة حبيبى لك أنت وحدك .. أما فيما عدا ذلك من أشياء وموضوعات وذوات فأحمل لها مشاعر تخضع لتسميات آخرى . وذلك هو سر الأسرار في الحب . فالإنسان لا يحب إلا شخصاً واحداً ليس من قبله وليس من بعده ..

□ □ □

.. وأنا ياحبيبى لا أدركك بعيناى .. ولا بأذناى ولا بقلبى ولا بعقلى .. بل أدركك بكل كيانى .. بكل ذاتى .. أى بكل وعى .. تلك هى وسيلتى الوحيدة للالتقاء بذاتك والتعرف عليها .. أن يلتقى وعيى بوعيك . إذن هو إدراك الحدس وليس إدراك المعرفة . إذن هو الالهام الالهى . وذلك هو السر الأعظم . إن علاقتنا بالأشياء والموضوعات والذوات تحددها عوامل معرفية ، أما في الحب فإن شيئاً ما يتحرك من الباطن ، من الداخل ، من الأعماق .. شيئاً ما يهديك إلى من تحب .. ميل طاغى يحرك كل كيانك نحو إنسان معين مثلما يتحرك مؤشر البوصلة بفعل تلك القوة غير المرئية .. حركة تلقائية لا تحتاج إلى سابق معرفة ولا تحتاج إلى خريطة ولا تحتاج إلى قائمة بالمواصفات .. ولذلك فهو أمر لا يوصف .. أمر يجل عن الوصف .

وحين إنجذبت إليك بفعل تلك القوة الكزنية الخارقة بالدهشتى وجدتك منجذباً ناحيتى .. فسقط في لحظة أو أقل من اللحظة ذلك الجدار الذى يفصل بين ذوات البشر .. وإذا بى أرى المستقبل . أتوقع .. أتنبأ .. توقع المتأكد ، وتنبؤ الواثق بأننا سنكون معاً إلى الأبد . وبفعل تلك القوة إذا بى أنفذ إلى صميمك فأطلع على جوهر ذاتك الرائعة ، وأرتد منها إلى وجهك فإذا بى أستطيع أن أقرأ كل ما يطرأ عليه من إنفعالات حتى وأنا مغمض العينين . حتى أنفاسك في الظلام تكشف لى عن حالتك الوجدانية .. هذا هو السر الغامض في الحب .

□ □ □

.. والشيء الذى لا يوصف هو ذلك الشيء الذى يفوق في معناه قدراتنا الفعلية على التحليل والتشريح والاحاطة والمتابعة . أو ذلك الشيء الذى ندركه بوجداننا أكثر مما ندركه بأفكارنا وبذلك لا نجد الكلمات المناسبة للتعبير عنه .. وهكذا الحب حين يتمكن من قلب إنسان فيصير محور وجوده أولاً ثم يصبح مبرراً لوجوده .. ثم يصبح وسيلة للتطلع إلى المستقبل وتكون له القوة بحيث يبعث في الإنسان يقيناً أن حبه خارج عن نطاق سيطرته .. قوة أكبر من إرادة الإنسان ذاته رغم أن الإنسان هو الذى قرر وهو الذى إختار .. فصميم تجربة الحب الاختيار .. الحرية الإرادة الإنسانية .. ولكنه بعد ذلك يعلو على الزمان .. يصبح لا متناهى . خالداً . أبدياً . لا يموت وإذا كان الإنسان يخاف الموت فإنه بالحب يشعر بأنه فوق الموت أو بأنه قهر الموت ، فتغمره سعادة وطمأنينة .. يخرج من حدود المتناهى إلى اللامتناهى .. من المحدود إلى اللامحدود .. من الموقوت إلى الابدى .. تلك إحدى الاسرار الخالدة للحب .. سر الخلود .. ولذلك تكتسب الحياة معنى جديداً لدى المحبين

ويتسم أسلوبهم وفلسفتهم في الحياة بطابع جديد .. وفي ذلك شيء من الاسطورة المشهورة عن شجرة الخلود التى إذا أكل منها الإنسان صار خالداً لا يموت .. تتغير طبيعته البدنية فيصبح غير قابل للفناء .. يصبح أقرب للملائكة . وبذلك يستشعر المحب تغيراً جذرياً في كل شيء .. في بدنه . وفي روحه أى في عقله ونفسه ، فكره ووجدانه . ليس فقط ميلاداً جديداً ، ولكنه ميلاد على نحو آخر . بصورة مختلفة .. وبذلك تختلف المفاهيم والرؤى . بل حتى المشاعر والخلجات الوجدانية تصبح ذات معنى مختلف ووقع مغاير .. فالألم غير الألم ، والعذاب غير العذاب ، والسعادة غير السعادة ، والقلق غير القلق ، والطمأنينة غير الطمأنينة .

ولذلك فإن الطرف الثالث في علاقة الحب (الصديق أو المستشار أو المحكم) لا معنى لوجوده .. لأنه لن يفهم أو لن يشعر كما يشعر الحبيبان .. لن يدرك طبيعة الحالة التى استحال إليها العاشقان . حين يفكر لهما أو معهما فإنه سيفكر بمفردات حياته هو أو حياة الواقع البعيدة عن خبرة الحب . حتى وإن كان هو ذاته عاشقاً فإن الحب هو تجربة فريدة .. شديدة الخصوصية . ولذلك فليس من المفيد إستشارة طرف ثالث في هموم الحب الخاصة بنا .. لا أحد يستطيع أن يلمس بفكره ووجدانه درجة العمق التى يتمكن منها الحب ويمسك بروح المحبين فيصبح مصيرهما واحداً لا يؤثر فيهما حسد أو شر أو حقد ولا ينال منهما إيذاء ومؤامرات عزول ..

ذلك هو أحد أسرار الحب الهامة .. أبدية العلاقة .. تلك الأبدية التى تهزأ بكل محاولة للنيل من كينونتها وصيرورتها وإستمراريتها .. حتى وإن كان الطرف الثالث مخلصاً . في نصحه ومساعدته فإنه لن يلمس إلا السطح .. سطح العلاقة بينهما الحب يمسك بالروح .. يربط الروح بالروح .. إنه أعمق وأوثق تجربة روحية عرفها الإنسان .. حقاً إنها تنطلق

أو تبدأ من الحاضر .. لحظة في زمان نعيشه الآن ، ولكنها ترتد إلى ماضى الإنسان العاشق فتضفى عليه معنى وقيمة ، حتى تصبح اللحظة الحالية وهى لحظة اللقاء الأول وكأنها التطور الطبيعى والنتيجة الحتمية لهذا الماضى .. وكأن هذا الماضى صيغ بشكل معين ليقودنا إلى هذه اللحظة ، وكأن هذا العاشق قد أهل بسمات معينة ليتحقق له هذا اللقاء في هذه اللحظة من الزمان . ثم تمتد بعد ذلك إلى المستقبل . ويصبح المبرر الوحيد لاستقبال الغد هو تلك اللحظة الحالية .. لحظة اللقاء الأول .. ثم تمتد إلى ما بعد المستقبل .. إلى اللا متناهى . فتكتسب طابع الخلود .. إنها شجرة الخلد التى تمتد جذورها إلى أقصى ما تصل إليه الأرض من عمق وترتفع إلى أعلى السموات .. شجرة لا تموت ، ومن يطعم منها يخلد .

□ □ □

.. وإذا قلنا أن الحب نور يمسك بتلابيب الروح ويربطها بروح آخرى فإنه يكشف للإنسان العاشق لأول مرة كل شىء عن روحه ، وعن روح حبيبه ، وتلك إحدى أسرار الحب وقواه الخفية التى تعلو عن الوصف ، وبذلك يفهم العاشق ما هو ضمنى وخاف .. رؤية للواقع .. للحاضر .. رؤية المستقبل وما هو آت ، وما هو متوقع ، وما هو ممكن ، ولذلك يمضى فى طريقه بهداية حبه ، بنور وجدانه ، وكأنما هو مستسلم لمصيره .. هو يسلم لتلك القوة الخفية التى تدفع به في طريق معين . وربما يصرخ كل الناس من حوله .. إحذر .. إبتعد .. تأنى .. إنتظر .. ولكنه لا يسمع لأحد . وكأنما يسيطر عليه وحى إلهى لا قبل له بمناقشته أو معارضته وكيف يناقش أو يعارض الإنسان أوامر السماء .. إنها الرؤية الكاشفة والبصيرة النافذة . إنها المشيئة الإلهية .. ولذلك يهتف المحب : إننى أراك ياحبيبى في حضرة النور الإلهى فانكشف لى ماضيك وحاضرك

ومستقبلك .. ونفذت إلى صميم روحك فأدركت ما أنت مؤهل له .. للسمو والرفعة ومابك من نزوع نحو المثالية .. إننى أحببتك في حضرة النور الإلهى فكيف يتهموننى بالعمى .. ولذلك لا يحتاج المحب إلى كتاب أو إلى خبرة سابقة أو إلى مشورة من صاحب .. لا يحتاج إلى علم أو فلسفة ..

إن الحب يحتاج فقط إلى إنسان مؤهل للحب .. إنسان ذو إمكانيات معينة تجعله مستحقاً لأن يعيش في ظل النور الإلهى الذى يضىء له جنبات روحه ويصله بروح إنسان آخر . وذلك قدر ومصير مكتوب لبعض الناس وليس كل الناس مكتوب عليهم أن ينعموا في الحياة بأعمق خبرة روحية على حين فجأة .. بلا مبررات .. بلا مقدمات . حدس كاشف .. حدث كليلة القدر وكأنما تتنزل الملائكة لتزاوج روحين من أرواح بنى البشر .. وبما أن الزواج تم على يد ملائكة منزلة من عند الله فإنه زواج مبارك لروحين لهما مكانة خاصة عند الله .. زواج يعد بسعادة مطلقة ولكنه من نوع خاص غير الذى يعهده الناس العاديون .. وهى سعادة خفية لا تُدرك بالشعور المباشر ولا بالوعى الذى لا يتحقق إلا بكل ما هو ملموس أو مدرك بالحواس .. بل هى من نوع تلك السعادة التى نشعرها حين نستمع إلى الموسيقى . هناك موسيقى تبدو وكأنها قادمة من السماء فتنقلنا معها إلى السماء .. موسيقى تمس الروح . وفي الموسيقى غموض لانها ليست كلمات .. في الموسيقى معان مبهمة .. الموسيقى تخاطب كل إنسان على حدة . ومع الموسيقى يتوقع الإنسان ويترقب وينتظر .

وذلك هو سر الحب أو ذلك هو الشىء الذى لا يوصف في الحب .. الانتظار .. الترقب .. التوقع .. كمن يقف على حافة الليل مترقباً ومنتظراً لانبثاق النور . إنها من أشد اللحظات نشوة وسعادة .. وحين

ينبثق شعاع تتلهف النفس للشعاع التالى .. قد تكون هناك معاناة في الانتظار ، قد يكون هناك قلق في التوقع ، قد يكون هناك خوف من الترقب ، ولكنها معاناة غير المعاناة ، وقلق غير القلق ، وخوف غير الخوف .. إنها المعاناة اللاذة ، والقلق المستعذب والخوف المطمئن .. وربما يكون ذلك هو صميم السعادة في الحب .. قطرة بعد قطرة .. ونفحة بعد نفحة .. وتجلى بعد تجلى .. وإشراقة بعد إشراقة .

وهكذا يظل العاشق في حالة شوق مستمر .. شوق لا ينتهى .. وذلك هو أصل الجمال في الحب .. وذلك هو الجانب الفنى في الحب .. فالفن جمال ، والحب جمال ، والحب فن ، والفن حب .

□ □ □

.. وبذلك يكتسب الحب طبيعة خاصة تختلف عن بقية العواطف والمشاعر والاحاسيس الأخرى حيث لا ملل ولا رتابة ولاجمود .. بل هناك شيء جديد دائماً .. هناك تطور .. هناك إبداع مستمر .. إنه الثراء في الحب .. اللانهائية في كل شيء في الحب .. ولذلك هو سر الأسرار .. شيء لا يوصف ولا يحد .

□ □ □

.. ولذلك فالماضى كان حلواً ، والحاضر أحلى ، أما المستقبل فيعد بحلاوة لا توصف ولا يمكن تخيلها .. ولذلك تفيض حلاوة الحب على الواقع المادى المباشر حتى وإن كان مؤلماً فتحيله إلى شيء أشبه بالجنة .. فيقنع المحبون بالسكنى في كوخ بسيط ويشبعون من طعام متواضع ويزدهون بملابس رثة وينتفخون بدراهم معدودة .

ولذا فمن أبرز سمات المحبين التواضع ، فرحين بما أتاهم الله من نعمة الحب ، مستبشرين بما يعدهم الله من خير في الحب .. إذن فمع التواضع هناك توقع حسن .. تفاؤل .. إستبشار .. أمل .. شوق .. لهفة .. تطلع .. وهو ليس إنتظاراً سلبياً إستسلامياً ولكنه إنتظار يحمل طابع التنبؤ .. إنه الظل الذى يظل سراً رغم ما إنكشف منه وما ينكشف كل لحظة .. إنه العمق الذى يظل عمقاً رغم توغلنا فيه كل لحظة .. وإنها المعرفة التى كلما نهلنا منها فتحت الطريق أمامنا لمزيد من الحيرة والتساؤلات تدفعنا إلى أن نعرف أكثر ..

□ □ □

.. إنه الحب الذى يجعلنا نقف على عتبة الكون لنقترب أكثر من فهم سر الوجود ..

□ □ □

.. إنه السر الغامض .. السر القدسى .. النور الإلهى .. أمر غير موصوف .. لا كلمات ..

□ □ □

.. أى سر فيك ؟ لست أدرى .

الفصل الثاني

معنى الحب

.. هل هو وهم جميل يبدو من صدقه وكأنه واقع . أم هو حلم رائع يبدو من وضوحه وكأنه حقيقة .. أم هو خيال ساحر يبدو من شدة الاستغراق فيه كأنه معاش حقاً . أم هو الحقيقة كل الحقيقة .. ؟

□ □ □

.. ما الحب ؟ ما المعنى .. ؟ ما التعريف ؟ ألم نقل أنه يجل عن الوصف !! ألم نقل أنه لا كلمات !!

□ □ □

.. أنحب بالقلب أم بكل الجسد . ؟ أنحب بالروح أم بالنفس . ؟ أنحب بالفكر أم بالوجدان ؟ ومن هو الإنسان المؤهل ليعطينا تعريفاً للحب ؟ الذى أحب أم المحروم من الحب (وهل هناك من لم يحب قط في حياته) ؟ . الذى قاسى من الحب أم الذى سعد به ؟ الذى يؤمن بوجود الحب أم الذى يعتقد أنه زيف ووهم ؟ من ذا الذى يتصدى لأهم قضية شغلت الإنسان حين وطأت قدماه الأرض ؟ حين كان هناك إثنان وليس واحداً ..

.. هل يحب الإنسان ليعيش أم يعيش ليحب . ؟ هل الحياة ممكنة من غير حب ؟

□ □ □

.. هل هو ميل مبهم نحو إنسان ما ينطوى على إعجاب بأشياء ظاهرة أو خفية في هذا الإنسان ؟ وهل يصبح هذا الإنسان الذى أحببناه وسيلتنا لتحقيق إشباعات أو إحتياجات معينة ؟ وهل يلعب الانجذاب الجنسى دوراً في الارتباط وفي حب هذا الإنسان ؟ وهل من الممكن أن يكون هناك حب بدون جنس ؟ وهل يحب الإنسان شخصاً واحداً أم يستطيع أن يحب أثنين في وقت واحد ؟ وهل يستطيع الإنسان أن يحب وفي نفس الوقت يكون له القدرة على كراهية آخرين ؟ وهل الحب وقف على النفوس الطيبة الخيرة أم يقدر عليه حتى الأشرار والسيئون ؟ وهل نحن أحرار في أن نختار من نحب أم أن الحب قدر ونصيب وأن الجامع بين القلوب هو الله وحده ولا حيلة للإنسان ؟

□ □ □

.. وإذا كان الحب عطاء مطلق فهل يستطيع الأنانى أن يحب ؟ هل يجتمع الحب والأنانية ؟ وإذا كان الحب إخلاص ووفاء فهل يستطيع غير المخلص أن يحب ؟ وهل يجتمع الحب والخيانة ؟ وإذا كان الحب هو الطهارة فهل هو الذى يطهر النفس أم لا يقربه إلا المتطهرون ؟

□ □ □

.. وهل يتشابه حب إنسان مع حب إنسان آخر .. أم كل حب هو تجربة فريدة مستقلة لا يمكن مقارنته بحب آخر .. ؟ وهل الحب تجربة مركزية محورية في حياة الإنسان أم هو تجربة هامشية ؟ وهل الحب يجلب

السرور أم يجلب الاحزان ؟ هل هو مصدر سعادة أم مصدر ألم ؟ هل يضيف للإنسان أم يأخذ منه ؟ وإذا أضاف فماذا يضيف ؟ فهم جديد ؟ ! وعى جديد ؟ ! قوة ؟ ! طاقة ؟ ! حيوية ؟ ! إبداع ؟ ! ثقة ؟ ! طهارة ؟ ! جمال ؟ ! وإذا أخذ فماذا يأخذ ؟ ! وقت ؟ ! صحة ؟ ! أعصاب ؟ ! مال ؟ ! .

□ □ □

.. وإذا أحب الإنسان فهل يذوب تماماً في حبيبه ويصبحان شيئاً واحداً أم يظل الإنسان محتفظاً بشخصيته المستقلة وكيانه المتفرد ويزداد إحساساً بذاته وقيمته وجدواه ؟ وهل الإنسان الذى نحبه حقاً يكون أقرب إنسان إلينا .. أم تظل هناك حدود وفواصل وحواجز وتحفظات وإحتياطات .. ؟ هل نسلم له تماماً أم يظل لدينا بعض الحذر ؟

□ □ □

.. وهل الحب مجرد أنفعال أو عاطفة صادرة عن الوجدان أم هو حقيقة إستيعابية شاملة يدخل فيها الإنسان بكليته أى عقله وفكره ووجدانه وجسده وتاريخه وماضيه وحاضره ومستقبله وإمكانياته النفسية والروحية ، وبه يتحرك الإنسان ويبدع ويضيف .. يسكن ويسلك .. يقف ويمشي .. يصعد ويهبط .. يتفاعل ويسكت .. أى أنه عاطفة وفكرة وفعل .. أى أنه يشمل حياة الإنسان بكل جوانبها .. أو هو الحياة ذاتها .. أو هو عين الحياة وقلبها .. أو هو الذى يجسد قيمة الحياة وجدواها ؟

□ □ □

.. وهل يجوز أن نحدد أنواعاً وانماطاً وأشكالاً من الحب ؟ هل هناك حب حقيقى وحب زائف ؟ حب صحى وحب مرضى ؟ وهل هناك

فروق جوهرية بين أنواع أو أشكال الحب المختلفة مثل حب الأم وحب الصديق والحب العشقى لإنسان من الجنس الآخر .. ؟ وما هو ذلك الحب العشقى الذى يربط بين أثنين من نفس الجنس ؟

□ □ □

.. ولماذا إرتبطت الغيرة بالحب ؟ لا حب بدون غيرة !! هل نغير لاننا غير مطمئنين ؟ لعيب فينا أم لعيب فيمن نحب ؟ هل لعدم ثقتنا به أم لعدم ثقتنا بالطبيعة الإنسانية ذاتها ؟ وهل الغيرة عدم ثقة أم خوف وقلق وحرص وفرط محبة ؟ وهل نخشى فقد من نحب أم نخشى فقد الحب ؟ وهل هناك أنواع من الغيرة تبعاً لإختلاف أنواع ودرجات الحب ؟ وهل الحب درجات .. ؟ أم لا توجد إلا درجة واحدة وهى الدرجة العليا .. بمعنى إما حب أو لا حب .. لا درجات وسطى ..

□ □ □

.. هل الحب الحقيقى هو علاقة تبادلية أم تصح من طرف واحد ؟ وهل المحب يسعد فقط أم أنه لابد أن يكون هناك توازن بين العطاء والأخذ ؟ وهل في علاقة الحب توجد شخصية مسيطرة غازية وشخصية خاضعة متلقية .. ؟ وهل هناك فرق بين حب الرجل وحب المرأة ؟

.. ثم نعود إلى أصل الحكاية ونسأل هل الحب نزوع فطرى أم شيء نكتبسه ونتعلمه ونحذقه ونتقنه ، وبالتالى تكون هناك درجات من الإتقان ؟ وهل فيه شيء من الفن أو الموهبة ؟ هل الحب فن ؟ هل هو فن الحياة أم هو حياة الفن ؟

.. والمحبون ألا تنطوى عواطفهم على حب للحب ذاته أم أن الحب كله موجه فقط نحو المحبوب ، وأنه لولا المحبوب لما عرفنا الحب ؟ هل الحب هو الذى قادنا نحو المحبوب أم أن المحبوب هو الذى قادنا إلى الحب ؟ وهل نتشبث بعد ذلك بالمحبوب خوفاً من أن نفقد الحب وكل ما منحه لنا أم نتشبث بالمحبوب لذاته ؟ أنحرص على المحبوب من أجل الحب ؟ وهل كان من الممكن أن يكون المحبوب محبوباً إلا عن طريق الحب !! وهل إذا كان الحب للحب ذاته فهل معنى ذلك أن أى إنسان يستطيع أن يمنحنا هذا الحب وأن نعيش معه هذا الحب من الممكن أن يحل محل المحبوب ؟ أم أن شخصاً واحداً في الوجود كله هو الذى يستطيع أن يثير لدينا تلك العاطفة التى تسمى بالحب الحقيقى ؟ في رأيى الشخصى أن المحبوب يجيء قبل الحب .. نلتقى بالمحبوب فنعرف الحب .. حقيقة يجب أن يكون الإنسان مؤهلاً لأن يحب ثم يأتى المحبوب فيفجر كل طاقات وإمكانيات الإنسان المؤهل لتلك المهمة العظيمة وذلك الفتح المبين في حياته وتلك الاطلالة على كل الخير وكل الجمال في الكون ليغترف منه ويعيش سعادته مع المحبوب وبالمحبوب ونعطى لتلك العلاقة اسم (الحب) .

ولا يمكن إستبدال المحبوب بشخص آخر لأن إنسانا واحداً فقط هو الذى يستطيع أن يحرك لدينا تلك العاطفة التى تستحيل بعد ذلك لتصبح مركز الحياة أو جوهر الحياة وتضفى كل المعانى .

□ □ □

.. هو الذى يكشف لنا عن إحتياجاتنا .. وبالتالى لا نقول أننا نحب لتلبية أو اشباع إحتياجات معينة بل هذه الاحتياجات لا تظهر إلى الوجود إلا حينما تلتقى بالمحبوب .. ولهذا فلا نفعية في الحب .. لا مكسب أولى

يبحث عنه الإنسان . لا طموحات وأهداف يسعى لها ويريد تحقيقها من خلال المحبوب .

وعن طريق الحب .. وهذه هي البراءة في الحب وتلك هي التلقائية وذلك هو التواضع وتلك هي البساطة . إنه النور الذى يكشف عن كنوز الذات ، وكنوز الدنيا . وهذا النور مصدره من نحبه . أى أننا لم نكن لنكتشف ذواتنا،ولا كنا عرفنا إحتياجاتنا ولا أدركنا معنى الحياة إلا حين إلتقينا صدفة بهذا الكائن الذى إستحال إلى محبوب .

□ □ □

.. ولذلك فالحب ليس مهارة خاصة ولا حاجة إلى تعليم ، وإنما هو نزوع فطرى . والنزوع الفطرى هو ذلك الاستعداد الخاص للروح كى تكون قادرة على معرفة الحب حين تلتقى بالمحبوب .. ولذلك فالمحبوب هو النصف المكمل لنا ، والذى حين نلتقى به تكتمل الصورة فيتحقق المعنى بالكامل والشعور بالتكامل .. تكتمل الدائرة فتنطلق شرارة الحياة الحقة لتدفىء وتنير وتشع وتشبع وتنجز وتثرى .. نماء وخصوبة .. أزهار وأزدهار وإثمار وعطاء .. إنه تزواج الأرواح لتتناسل .. وتناسل الأرواح غير تناسل الابدان .. الأرواح تتناسل بشكل آخر وتنتج أشياء أخرى ، وتولد أجساماً من نوع آخر .. الأرواح حين تتناسل تولد حباً وخيراً وقيماً ومعاني .. إبداع من نوع آخر .. أعظم الفنون .. هو الإدراك للكمال الكلى الشامل المطلق .. إنه أسمى درجات الخير وقمة درجات السعادة والتحقق لأجلّ معنى للانسان . صنع الله . ذلك المخلوق الذى يختلف عن كل مخلوقات الله أدناها وأرقاها . حين خلقه رفعه فوق أرقاها .. حين وضع فيه الامكانيات لكى يحب ، لانه حين يحب يتحقق

بذلك المعنى وهو إدراك المطلق واللامتناهي والأسمى .. وعند هذه النقطة يقول الإنسان بصدق ووعى وفهم وإقتناع :
لا إلـه إلا اللـه .

□ □ □

.. وهل معنى ذلك أن الحب يصبح منحة إلهية ينعم بها الله على بعض عباده ؟ وهل يصبحون بذلك هم هؤلاء الذين عرفوا طريقهم إلى الله فعبدوه من بعد أن أحبوه وأحبوا كل شيء يشرق عليه نور الله ؟ وبذلك يكون المصدر الأسمى للحب هو الله .. ويكون الأصل في الوجود هو تلك العلاقة السامية التي تنشأ بين إنسان وإنسان والتي إسمها الحب والتي من خلالها تتناسل الأرواح وتتناسل الأبدان .

□ □ □

.. ولهذا فالعلاقة العشقية في الحب الحقيقي لا يمكن أن تقوم إلا مع إنسان واحد .. إنسان معين . نصف مكمل . لابديل له . ولا إستغناء عنه . وهذه هي المشكلة ، فالحياة قد تكون ممكنه ومحتملة إلى حد ما قبل أن نلتقي بالمحبوب . ولكن بعد أن نلتقي به ونكتمل به ونعيش حياة الحب وحب الحياة معه فإنه يكون من المستحيل الاستغناء عنه .. فالموت أرحم من فقده .. وطالما أنه شخص واحد فالاخلاص كله يكون له .. وبذلك يصبح الاخلاص هو صميم الحب .. وحتى إذا حاول المحب عبثاً أن يلعب لعبة اللا إخلاص فإنه يفشل .. ولهذا لا فضل للمحبين لاخلاصهم ولا جائزة يستحقونها على هذا الاخلاص .. وهذا الاخلاص في الحب ليس فعلاً إرادياً . وإذا كان المحبون – فرضاً – غير مخلصين قبل الحب فإنهم يصبحون مخلصين بعد ذلك والفضل للحب .. إلا أنه

يجب التأكيد هنا على أن النزوع الطبيعي لكل إنسان لديه الاستعداد لأن يحب أن يكون مخلصاً .. الاخلاص هو سمة من هو مؤهل للحب ، ولكن الممارسة الفعلية الكاملة للاخلاص لا تكون إلا بعد أن يلتقي بنصفه المكمل . ويكون هذا تجاوباً طبيعياً .. لا مجاملة فيه ولا تعمد ولا محاولة للحرص على التمسك بمكارم الأخلاق ..

ولذلك فالحب هو الطريق العظيم للترقى .. للصعود والسمو .. فإذا قلنا أن صميم الحب هو الإخلاص فإن هذا الاخلاص يولد قيماً عظيمة آخرى كالوفاء والمسئولية والرعاية والعطاء والاحترام والنزاهة .. إنه كل القيم مجتمعة .. وهو التجسيد الحقيقى للضمير الإنساني ووسيلته إلى عالم الطهارة والخير والجمال والحق .

□ □ □

.. كل هذا يأتى بغتة .. في لحظة .. مصادفة رائعة .. إلهام مباغث .. بلا مقارنة ولا تفضيل ولا إنتقاء ولا إختيار ولا حسابات ولا شروط ولا علل ولا أسباب . وهنا تفقد النسبية معناها وقيمتها كواحدة من أعظم إكتشافات العقل الإنسانى ..

□ □ □

.. المهم أنه لا أسباب ولا مبررات ولا علل ولا مقدمات .. وكل الضمانات تكون مكفولة منذ البداية وأيضاً بلا أسباب .. نحبه .. لماذا نحبه ؟ لاننا نحبه . ولماذا هو بالذات ؟ لأنه هو الذى كان يجب أن نحبه ، هو الذى كنا نبحث عنه ، هو الذى كان في خيالنا وضميرنا .. ولهذا فالاصح أن نقول أننا أحببناه ثم قابلناه لا أن نقول قابلناه فأحببناه .

كان حبنا موجوداً قبل أن نوجد .. حبنا سابق على وجودنا ، ووجدنا لكي نحقق حبنا ولندرك سر وجودنا .. لندرك لماذا وجدنا .

□ □ □

.. تستغرقنا دهشة منذ لحظة اللقاء الأول وتستمر معنا الدهشة إلى أن نفنى وكأننا مسحورين . تدخل هذا العالم المسحور وننشد له ولا نريد أن ننفصل عنه ولا نريد أن نرتد إلى واقعنا حيث يصبح لنا واقع جديد له مذاق خاص . رائحة خاصة . ألوان خاصة .. أبعاد مختلفة .. قيم أسمى .. سعادة قصوى . خير مطلق .. ورغم شدة تأكدنا من مشاعرنا إلا أننا نشعر أننا نعيش واقعاً سرياً غامضاً .

□ □ □

.. ولأنه لا أسباب ولا مبررات فإننا لا ندخل في تفصيلات ، فلا نستطيع مثلاً أن نقول أننا نحبه أكثر لأنه جميل أو لانه ذكى .. كما لا نستطيع أن نقول أن حبنا له قد إنخفض درجة لاننا اكتشفنا أنه أقل ذكاءً أو أقل جمالاً عما كنا نعتقد .. إننا لا نرى ميزاته ولا نرى عيوبه أيضاً .. لا ميزات ولا عيوب .. ولكننا نحبه هو . كله .. ذاته .. على إطلاقه . ومنذ أن نلتقى به لا يزيد حبنا ولا يقل . قد نشعر بعد ذلك أننا نحبه أكثر ولكن الحقيقة هو أننا نكتشف بعد ذلك مدى ما كان عليه حبنا منذ البداية .. فالحب يولد كاملاً .. الحب ليس كالقمر .. الحب يولد بدراً ويظل بدراً .. ولهذا يظل المحب على حبه لمحبوبه حتى وإن فقد هذا المحبوب بعض قدراته أو بعض إمكانياته أو بعض صفاته بفعل الزمن أو لأى سبب آخر . ويظل أيضاً الحب كما هو حتى وإن تخلى عن بعض عيوبه .. لا يحزننا تراجع بعض ميزاته ولا يفرحنا تراجع بعض عيوبه .

ومن أبرز الدلائل على ذلك هو أن المحبوب حين يقدم على جراحة تجميل تزيد من جماله كما يتصور فإن حبيبه لا يدرك هذا التغيير (الايجابى) الذى طرأ على شكل محبوبه .. إن الصورة التى أحبها منذ البداية تظل منطبقة في ضميره ووجدانه لا يريد لها تغييراً ولا يلحظ أى تغيير يطرأ عليها ، وقد يتقدم به العمر ولكن حبيبه لا يلحظ علامات الزمن . ولذلك قد تعتب المرأة أحياناً على حبيبها أنه لم يلحظ فستانها الجديد وتتهمه بعدم الإهتمام ، والحقيقة أن إهتمامه لم يفتر ولكن لأنه يراها الجمال المطلق فإن أى شىء جديد لا يزيدها حسناً فهى الحسن ذاته .

□ □ □

.. ومن الصعب أيضاً أن يقبل المحب أن محبوبه قد تغير أخلاقياً في الاتجاه السلبى لأن الثقة المتبادلة تكون مكتملة منذ البداية ، وأيضاً هو يتوقع – مثلما يحدث معه هو شخصياً – أن حبيبه سيترق في الاتجاه نحو المثالية بفعل تأثيره الشخصى عليه وبفعل الحب ، فالتطور الطبيعى للشخصية بعد الحب هو أنها تمضى قدماً في التحليق في سماء الخير والجمال والحق وليس العكس .. وتلك إحدى نعم الحب وهى سعادة الاستقرار ونشوة الطمأنينة .

الفصل الثالث

لماذا نحتاج للحب ؟

.. يحاول المحبون وصف سعادتهم بشتى العبارات التي قد تعجز عن النقل الدقيق لما يشعرون به ولكن من فرط صدقهم وحرارتهم فإن أصواتهم تكون كافية لنقل ما يجيش بصدورهم ، وأنا هنا أنقل عن عبارات صدرت بشكل مباشر على ألسنة المحبين .

يقـول المحـب :

- ☐ أشعر بالطمأنينة مع حبيبى .
- ☐ تزول عنى كل مشاعر الوحدة القاسية حين أكون معه .
- ☐ حين يذهب عنى تصبح الدنيا من حولى مقفرة جرداء حتى وإن كان معى كل الاصدقاء .
- ☐ تنتابنى مشاعر الضياع حين أبحث عنه ولا أجده .
- ☐ أحس بالاكتمال وأنا معه .
- ☐ أحس أن الحياة تمضى بإنضباط وهو بجانبى .
- ☐ تتبدد كل مخاوفى حين يقترب منى .
- ☐ ترتفع معنوياتى حين أبدأ يومى بسماع صوته .. وينتابنى الاكتئاب إذا مضى يوم دون أن أسمعه .
- ☐ تنهار قدرتى على المقاومة حين يبتعد عنى .
- ☐ أشعر باليأس حين أتصور إنفصالنا .

□ وأنا معه أشعر بانى أنا .. بأنى مستمر .. بأنى باق حتى وإن مت .. أستهين بالموت ولا أخافه .. أشعر أن مشاعرنا ممتدة إلى ما بعد الموت ، فلا أهمية للموت حينئذ .

.. من هذه العبارات الصادرة عن ذوات عاشقة نستطيع أن نستخلص حقيقة هامة وهى أن الحب يقضى على أحاسيس الوحدة .. الضياع .. الفراغ .. التوهان .. النقصان .. الفناء .. بالحب نكتمل ونمتلىء ونطمئن ونهدأ ونهنأ ونستقر ونسمر ونسعد ونفرح . وهذا أمر عجيب . فمن خلال شخص واحد فقط نشعر بكل هذا الامتلاء والاكتمال والسرور .

شخص واحد فقط يُذهب عنا الخوف والقلق ويجلب لنا الطمأنينة .. شخص واحد فقط يساوى كل الناس مجتمعين .. شخص واحد فقط يجتمع فيه أبيك وأمك وأختك وأخيك وصديقك وجارك وزميلك .. هو كل الناس . ولو أجتمع كل الناس ليسروا عنك ويملأون وقتك لما تساوى ذلك مع دقيقة واحدة مع من تحب .. ولو إجتمعت لك أسباب القوة من مال وسلطة وعزوة لطمأنتك لما تساوى ذلك مع مجرد تواجد من تحب بجوارك .. مجرد تواجده .

□ □ □

.. ولهذا نحتاج للحب .. ولهذا كانت نقطة البداية حب .. الفطرة الأولى من الحب التى تنزل من ثدى الأم مع القطرة الأولى من لبنها في حلق وليدها .. إحتواء ودفء .. ونظرات حانية وصوت حنون وصحبة دائمة .. كل شيء يبعث على الطمأنينة وخاصة أنه حب غير

مشروط .. حب بدون مقابل .. حب مطلق .. حب لهذا الوليد الضعيف .. فإذا الضعف يستحيل قوة .. وإذا الخوف يستحيل طمأنينة . وإذا الألم يعقبه لذة .. وإذا البكاء يعقبه إبتسام .

وياويلتنا حين تختفي الأم عن ناظرينا .. أى أحاسيس فزع وخوف تنتابنا .. وأى لهفة . وأى شوق للقاء .. وأى سرور وأى طمأنينة حين نلتقي بوجهها مرة ثانية وتضمنا ذراعيها ..

هذه هي القطرات الأولى من الحب والتى تستمر كنهر متدفق لا يهدأ حتى آخر يوم في عمرها أو في عمرنا .. ذلك هو النموذج الأول والأكمل للحب .

□ □ □

.. ونمضى في رحلة الحياة .. مع الغرباء .. ولا تفارقنا أحاسيس الضياع .. الوحدة .. العزلة .. الانفصال .. وترقب دورة الحياة .. بداية ونهاية .. ميلاد وموت .. من ضعف إلى قوة نسبية قد تكون وهمية إلى ضعف وفناء . ونفزع .. نخاف .. ومع قسوة الطبيعة وقسوة القلوب نكتئب .. يزداد إحساسنا بالعزلة وبالفناء ..

والعجلة تدور .. تسرع في دورانها .. لا تتوقف من أجل أحد .. لا تتوقف إذا سقط أحد .. وتسرع أكثر وأكثر .. وكلما تقدم العلم نصبح أقرب وأقرب إلى الجنون .. فإذا لم نجر بالسرعة الكافية دهستنا العجلة أو سقطنا ولم يلحظ سقوطنا أحد .

□ □ □

.. حتى نلتقى به .. نراه أمامنا على حين فجأة .. فيعاودنا إحساس قديم كنا قد نسيناه . إحساس رائع هو مزيج من الطمأنينة الشديدة

والفرح الشديد حين غابت أمنا عن عيوننا فضنا ثم فجأة رأيناها .. هذه هي اللحظة الوحيدة التى إجتمع فيها قمة الطمأنينة وقمة الفرحة وما أروعه من مزيج يجعل كل شيء جميلاً وبديعاً .. قمة المشاعر البشرية . قوة وطاقة وحيوية وأمل وخلود .. لا شيء في الدنيا كلها يستطيع أن يمنحنا هذا الشعور .. لحظة أن تلتقى بوجه أمك بعد ضياعها منك . قد يحدث هذا في لحظتين متتاليتين خاطفتين تعقب إحداهما الأخرى . لحظة يغيب عنك وجهها أو تختفى كلها .. كانت أمامك وأدرت رأسك فلم تجدها .. يهبط لحظتها في قلبك كل خوف الدنيا وكل يأسها وكل ضياعها ... ثم تدير رأسك في اللحظة التالية فتراها فيقفز كل شيء فيك فرحة وإنتصاراً .

.. هكذا نشعر حين نلتقى بمن نحب في أول مرة . في لحظة واحدة ينتابنا هذا الشعور العميق الذى كان نائماً في أعمق أعماق الباطن .. فرحة وطمأنينة . بل أعلى درجات الفرحة والطمأنينة . وتلك هى الغرابة ومن هنا كانت الدهشة . فأى مشاعر تولد صغيرة وتنمو . والمشاعر يكون لها سبب مباشر وواضح . ولكن باللدهشة فمشاعر الحب تولد في قمتها وبلا أسباب .

وحين ندرك أننا أحببنا ندرك بالتالى لماذا كنا نحتاج إلى هذا الحب وماذا فعل بنا هذا الانسان الذى أحببناه .. أنه أزال شعورنا بالوحدة ..انه أزال كل مخاوفنا وقلقنا إنه بدد يأسنا .. إنه جعلنا لانخاف الموت ولانضطرب لسرعة إيقاع الحياة ، فإذا كل شى يصبح مقبولا جميلا محتملا .. كل شى باسم .. كل شى سهل نحب الحياة.. نعيشها باستمتاع .. نجتهد .. نبدع .. نضيف .. نتعاون .. نحب الجار والزميل ، بل نحب كل الغرباء .. يستحيل كل الناس الى أصدقاء لنا.. لانخاف الناس بل نصبح قادرين

على رؤية الجانب الطيب الخير فى كل الناس ونحاول أن نستثمر هذا الجانب ونستخرجه ..

أنظر الى وجهك حين تحب سترى أن ملامحك قد تغيرت . ستجد أن عضلاتك قد استرخت وأن ثمة بشر وتفاؤل يلوحان من وجهك كل الوقت دون أن تتعمدها . ثمة قبول وترحيب .. تزول عن وجهك امارات القلق أو الحيرة أو العداوة أو العنف .. وستقبل مسيرة الحياة كما قدرها الله .. ستقبل الموت كحقيقه ماثلة أمام عينيك فى كل لحظة .. حقيقةأن يموت من تعرف من الناس أو حتى تموت أنت شخصيا .. أن ذلك لايهم طالما أنك تنعم بأعظم إحساس وهو أنك تحب وأن هناك من يحبك .. وتلك هى الحياة ومعناها ومغزاها .. وهذا يكفى ..وبذلك نعيشها حقا ..ولأنه إحساس خالد فإن خلوده يستهين بزوال الجسد ذاته

العشاق لايخشون الموت .. أما الذين يفتقدون الحب فى حياتهم فإنهم يجزعون من الموت .. وستقبل ضعفك أمام قوى الطبيعة .. ستشعر أنك أقوى بحبك ..أقوى من البراكين والزلازل والاعاصير والفيضانات .. ينهزم أمامك الحر الشديد والبر الشديد .. ستتحمل الصعاب بل والآلام والمحن والامراض التى تصيب الجسد .

□ □ □

.. إن طمأنينة روحك وفرحتها حين تحب تجعلك تعلو من على الارض كمن يركب طائرة فيرى كل الاشياء على الارض صغيرة .. لن تتوقف عند تفاصيل وتضاريس .. سترى الحقيقة الكلية الشاملة لمعنى الحياة والموت والصحة والمرض والمصيبة والنجاة منها .. تلك الحقيقة الكلية الشاملة التى لم تكن لتعرفها إلاحين إلتقيت بذلك المحبوب وهى أن المعنى

الخالد وراء حركة الكون هو الحب وأنك من المحظوظين لانك نعمت بذلك الحب .. أن ذاتا إنسانية حرة أحبتك . وأنك كنت أيضا قادرا أن تحب هذه الذات .. فعرفت كل شى من خلالها ..عرفتها فعرفت الحياةوعرفت ذاتك .. وأنت أيضا أتحت لها أن تعرف كل شى ..تعرفك وتعرف الحياة ذاتها .. والمعرفة قوة وطمأنينه وفرحة .

□ □ □

.. هذا الحب يوجه مسيرتك فى الحياة توجيها ايجابيا فتعتدل وتبدع ..تعتدل بمعنى ألاتتمادى .. فالضياع الذى كنت تحسه قبل لقائك بالذات التى أحببتها يجعلك تندفع وتتمادى لتحاول أن تنسى .. تنغمس وتنغمر بكليتك تماما .. تعمل كثيراً .. تقرأ كثيراً .. تسهر كثيراً .. تنام كثيراً .. تأكل كثيراً .. أى تطرف في كل شيء . تطرف في الوحدة أو تطرف في الاندماج مع الناس ..تطرف في العمل أو اهمال متناهي .. قد تلجا الى ما يغيب عقلك .. قد تنغمس فى شهوات الجسد ..ولكن هيهات أن يرضيك شىء .. هيهات أن يشبعك شى .. هيهات أن يذهب عنك الخوف والقلق واليأس كلها أشياء وقتية يتبخر تأثيرها سريعاً وتعود الى حالتك الاولى .

.. ولهذا فحين تحب فإنك تعتدل .. لايصبح هناك أى ضرورة للتطرف أو الانغماس أو المبالغة . يهدا إيقاعك وترى الأمور علي حقيقتها وبواقعية وتتعامل معها حسب ماتستحق وحسب قدرها .

.. تنتظم حياتك مثلما ينتظم إيقاعك الداخلى ، أى إيقاعك البيولوجى وايقاعك النفسى .. جميع أجهزة جسمك تنتظم .. وجميع تفاعلاتك الروحية والنفسية مع عالمك الخارجى تنتظم .. قبل أن تلتقى بمن تحب

كانت أنفاسك تسرع أحياناً فتلهث وتبطىء أحياناً الى حد الموت .. أما الان فانك تتنفس لأنه أمر طبيعى أن تتنفس ولاتشعر أنك تتنفس .

.. تعتدل فى علاقاتك بالناس .. تصبح غير محتاج الى أن تندمج معهم الى حد الانصهار والضياع فى وسطهم .. وتصبح أيضاً غير محتاج الى أن تنعزل وتتعالى وتحاول أن تتميز وتتفرد وتنتصر عليهم وكأنهم أعداء متربصين أو حاسدين حاقدين متلهفين للسخرية منك .

.. تعتدل فى عملك .. وثمة شى جديد يطرا عليك هو صفاء الذهن والقدرة على الرؤية الأعمق والفهم الأشمل .

تراودك أفكار جديدة وتكتشف بنفسك علاقات جديدة ومثيرة بين الاشياء ، ويصبح لديك الرغبة القهرية للاهتمام بالجانب الجمالى بالاضافة الى الجانب العملى .. أصبح الكم لايعنيك بقدر إهتمامك وعنايتك بالكيف .. وتلك هي اللمسة الابداعيه فى الحب .. أن تهتم بالجديد ، بالجميل . فالحب ذاته هو قمة الابداع .. وهذا هو سحره وتأثيره على الانسان .. يخلق الانسان من جديد . ولهذا يحاول الانسان أن يخلق الاشياء من حوله بطريقه جديدة . إنه متعة للنفس وسكينة للروح وصفاء للعقل .. قمة التناغم الابداعى .

□ □ □

.. والمحبون مرحون .. والمرح مرده الفرح والسعادة والسرور الذى يشعرون به .. فالروح المسرورة هى روح مرحة .. ولهذافالمحبون دائمو الابتسام ..ومن السهل أن يضحكوا . والضحكة تكون صادرة من أعماق القلب . ولذلك فالفكاهة الحقة تكون صادرة من المحبين أو على الاقل من إناس لديهم القابلية للحب .. لامرح مع الجمود العاطفى ،

ولامرح مع الكراهية ، ولامرح مع الاحساس بالوحدة والانعزال والخوف واليأس .

□ □ □

.. ومع الحب لا تتمادى إطلاقاً في مشاعر العداء والعنف والقسوة .. وأيضاً لا تتمادى في الاستسلام والانكسار .. تصبح أكثر شفقة .. أكثر تعاطفاً . أكثر تسامحاً .. أكثر تقديراً لظروف الأخرين وضعفهم .. وتصبح أقرب إلى عالم النفس المتخصص الذى يفسر سلوك الآخرين الخاطىء ، فيرى أنهم قد يكونوا مدفوعين قهراً لمشاكل متعلقة بطفولتهم أو ليأس شديد أو لشذوذ غير إرادى في تكوينهم .. ولهذا فأنت وأنت تحب تحاول أن تفهم وتفسر وتعذر لتسامح وتغفر . وتلك إحدى نفحات الحب . وهى نفحات إلهية . الرحمة والتسامح والمغفرة .

ولذلك فالحب يحقق للانسان إنسانيته الحقة يسمو به ليصبح أقرب إلى السماء من الأرض .. ومن النور إلى التراب .. ولذلك نستطيع أن نقول أن رحمة الله التى ينشرها على عباده ومن خلال عباده تكون عن طريق المحبين أو المهيأة قلوبهم للحب ..

وبذلك فإن العالم يصبح وحدة واحدة من خلال عاطفة الحب التى تجمع بين كل قلبين من البشر .. لولا الحب لاحترق العالم ..

فالحب هو القوة المناهضة للشر .

الحب هو الحل الأمثل لمشاكل الإنسان على الأرض ..

الحب هو الضمير الإنسانى .

الحب هو الوصلة التى تصل الأرض بالسماء ، وترتفع بأهل الأرض في طريق رحلتهم إلى السماء .

.. بالحب تصبح فرداً .. ذاتاً .. مستقلاً .. حراً .. مبدعاً .. تصبح أنت . وبالحب أيضاً تصبح جزءاً من النسيج البشرى المتماسك المتآزر .. تشعر بإنسانيتك وأنت ذات متفردة تُحب وتُحَب وتشعر بإنسانيتك وأنت ذائب مع مشاعر البشر ومشاكلهم .

وما أحوج الإنسان المعاصر إلى هذا الحب .. الإنسان المعاصر ضائع في الزحام البشرى .. ترس صغير في عجلة هائلة .. نقطة في محيط إن ضاعت لا يهم .. ولكى لا تضيع يجب أن تذوب في المحيط وتتوحد بمياهه .. الى أن يمتثل ، ولكى لا يضيع عليه أن يقدم أحسن ما عنده ، إنه مجتمع العرض والطلب .. مجتمع مسابقات الجمال وشركات الاعلان الضخمة ومباريات الملاكمة والمصارعة التي تدر الملايين .. مجتمع السلاح والمخدرات والعنف .. مجتمع مضادات الألم والاقراص المنومة والحبوب المهدئة .. مجتمع عبادة الآلة .

ويأتى الحب ليقول للإنسان : إنك مازلت إنساناً .. أنت لست آلة .. أنت محبوب وقادر على أن تحب .. أنك مرغوب لذاتك لانك أنت .. ليس مطلوب منك أن تبذل مجهوداً لكى يحبك أحداً .. يكفى أنت .. مجرد أنت كما أنت .. بشكلك المتواضع وإمكانياتك المحدودة .. مطلوب فقط براءتك وتلقائيتك وعفويتك وبساطتك .. يأتى إنسان ليقول لك : أحبك .. هنا تشعر أنك أهم إنسان في العالم .. أنك ملك الملوك .

أنك ذات متفردة مستقلة حرة قادرة على العطاء وقادرة على الأخذ دون أن تتوقع أن يُطلب منك مقابل .. هنا تختفى الحيرة والتوهان .. هنا يثوب الإنسان إلى رشده .. يسترد وعيه .. يملك زمام ذاته .. يفيق من خمر أبخرة المصانع ودخان القنابل وعادم السيارات وحبوب تسكين الآلام والمهدئات والمنومات .

هنا يتحرر الإنسان ويسترد حريته المفقودة ويهتف : أنا .. ولولا أنت لما كنت أنا .. ولولا أنا لما كنت أنت .. أنت مرآة ذاتى وأنا مرآة ذاتك .. أنت إختيارى المطلق وأنا أختيارك المطلق .. أنا أسيرك بحريتى وأنت أسيرى بحريتك .. أنا أذوب فيك بإرادتى وأنت تخضع لى بإرادتك .. أنت إخترتنى من ضمن كل الملايين لأننى بالضرورة شىء نادر أستحق حبك وأستحق إخلاصك وأستحق عطاؤك .. وأنا أخترتك من ضمن الملايين لانك بكل تأكيد شىء نادر تستحق حبى وتستحق إخلاصى وتستحق عطائى .

.. أحبك بمعنى أننى أميل اليك ميلاً عظيماً ولا أستطيع الاستغناء عنك ومستعد لأن أفديك بروحى .. وأحترمك وأتحمل مسؤليتك بالكامل .. وسأبقى معك حتى الموت ..

□ □ □

.. وهكذا يربطنا الحب بالواقع .. ولكننا في نفس الوقت نحتاج للحب لنهرب من الواقع .. لنحلم .. ليستغرقنا الخيال الجامح فننفصل تماماً عمن حولنا . نهرب وننعزل ومعنا من نحب .. نعيش لحظات خاطفة من عمر الزمان محلقين بأجنحة الحب في سماء الخيال والرومانسية ..

نهرب من اجسادنا ونستحيل إلى كائنات من نور .. نتوحد مع الملائكة ونتوحد مع الطبيعة .. مع النهر .. مع الزهور .. مع النسيم .. مع الشعر .. مع الموسيقى . إنه عالم سرى لا يعرف الطريق إليه إلا المحبين . إنه عطر غير متواجد في الأسواق . عطر يفوح من القلوب العاشقة فيدير الرؤوس ويحقق أعلى درجة من الانفصال عن الواقع والتحليق إلى بعيد .

إنها لحظات الصفاء والهيام والشوق .. لحظات الذوبان .. إنها اللحظات التى ينتقل فيها المحبون مؤقتاً بفعل النفحات الالهية إلى جنات الخلد والنعيم .. وتلك هى الصلة السحرية بين الحب والفن .. ففي الحب شيء من الفن وفي الفن شيء من الحب .. الفن سحر وجمال . خلود وكمال .. خيال أقرب إلى الواقع وواقع أقرب إلى الخيال .. الفن هو خلق لواقع جديد فالواقع القديم بتناقضاته وصراعاته هو الباعث على الفن . وهكذا الحب أيضاً . الحب نزوع نحو الخير والجمال .. نحو الخلود والكمال .. الحب بحث عن الطمأنينة والفرح .. الحب خيال أقرب إلى الواقع وواقع أقرب إلى الخيال أو هو الواقع والخيال معاً .. الحب هو خلق لواقع جديد فالواقع القديم بتناقضاته وصراعاته وماديته وقسوته ولا إنسانيته هو الباعث على الحب .

والمحبون يعشقون الفن . والفنانون يتوقون إلى الحب ولا إبداع حقيقى إلا من خلال حب .. وفي الحب سر وغموض .. وفي الفن سر وغموض .. هناك بإستمرار بعدغير مرئى بعد متروك للانسان أن يبحث عنه ويخوض فيه ويحاول كشف سره والوصول الى مغزاه والتحقق من معناه .. يظلّ مخفيا ، وكلما توغل الانسان كلما ابتعد . وكلما شرب كلما عطش . كلما أكل كلما جاع . أبداً لايمتلكه بين أصابعه وابداً لايستوثق من الالمام بفهم والاحساس به .. ولذلك فالشوق متجدد .. والالهام لايموت .. والحب لاينتهى .. إنه السر الخالد .. وهو أيضاً سر الخلود .

.. ويحتاج بعض الناس للحب (وهم المؤهلون بحكم تكوينهم للحب) لانه يتجاوب ويتوافق مع نوازع نفوسهم وميلهم نحو المثالية والرغبة فى وجود دستور أخلاقي غير مكتوب بين البشر ، ولانه يحقق رغبة نحو

السمو ورغبة في المثالية .. ولهذا فالحب وثيق الصلة بالفضيلة .. لا إنحراف مع الحب ولاشذوذ مع الحب .

ولهذا قد يكون النسق الأخلاق لبعض الناس في بداية حياتهم مختلاً ولكنه يصبح شديد الانتظام بعد أن يحبوا .. يحدث تغيير شامل في سلوكهم وذلك بعد أن إطمأنت النفس وهدأت الروح وصفى العقل وإسترخى الجسد .

إن الحب يؤدى إلى التوازن النفسي والبيولوجي وبالتالى إلى التوازن الأخلاق .. ولهذا فالحب يقوم المنحرف ، ويهذب الشاذ ويطهر المتدنس وذلك حين يكون لديهم الاستعداد لذلك .. أى حين يكون لديهم الاستعداد الكامن للحب والذى يتفجر حين يلتقى بالنصف الآخر المكمل الذى إذا إلتحم به غير من طبيعته النفسية والبدنية أو بالأحرى أعادها إلى طبيعتها الطيبة الخيرة المتطهرة ..

□ □ □

.. ولأن الحب مناف ومناهض ومناقض للأنانية فلا خير يعم إلا من خلال الحب .. ولهذا يصبح الطموح الأسمى للبشرية بأسرها هو الحب حين تريد لنفسها ولمستقبلها خيراً .

□ □ □

.. إذن الحب هو الجنة على الأرض .. هو مقدمة للنعيم الخالد المقيم في جنات الله .. هو جذورنا التى تثبت أقدامنا على الأرض وهو الاجنحة التى تطير بنا إلى السماء ، وهو الظلال الوارفة والثمار الناضجة التى تظللنا وتطعمنا .. هو السكنى والمأوى والملجأ .. هو الحرية والإرادة وتحقيق

الذات .. هو الاستمرارية والخلود . هو ماص الصدمات ومنظم التقلبات ومهدىء السرعات .. باعث الطمأنينة وجالب الفرحة ومبهج النفس ومريح الخاطر .. وهو الملاذ وهو الثابت وهو المطلق وهو اللامتناهى .. هو الماضى والحاضر والمستقبل .. هو المثالية والأخلاق .. هو الاخلاص والوفاء أى كل القيم مجتمعة .

□ □ □

.. الحب هو أنت يامن أحببتنى لانك جئتنى قبل أن يجيء الحب .. فالحب بك ومنك ومن أجلك .. أنت الحب .. بل أنت فوق الحب .

الفصل الرابع

الحب والنضوج

.. قد يبدو ظاهرياً إنك إخترت بإرادتك أن تكون عاشقاً أى أن تحب .. ولكن في حقيقة الأمر أن الحب هو الذى إختارك وذلك لأنك أهل لأن تُحب وأن تكون محبوباً .. أى لتخوض أعظم وأعمق تجربة إنسانية وهى الحب .

والقادرون على الحب الحقيقى قليلون مثل كل شيء ثمين .. الحب يحتاج إلى مؤهلات معينة .. سمات خاصة في الشخصية .. ومعظمها سمات ومؤهلات غير مكتسبة .. معظمها يرثها الإنسان . أى يولد بها .. وقليل منها يكتسبه الإنسان في طفولته المبكرة عن طريق الأسرة والمجتمع أى البيئة المحيطة .

.. وإذا فهمنا طبيعة الحب الحقيقى فإننا نستطيع ان نتوقع تلك السمات التى تؤهل أى إنسان ليخوض هذه التجربة السامية .

□ □ □

.. الحب الحقيقى ليس هزلاً .. ليس عرضاً مؤقتاً .. ليس ميلاً عاطفياً مجرداً .. ليس نزوة .. ليس رغبة .. ليس عبثاً .. ليس تسلية .. ولكنه تجربة إستيعابية شاملة مركزها جوهر الإنسان وذاته ووعيه .. مركزها الباطن وتشمل كيان الإنسان كله أى الفكر والوجدان والسلوك ، ولذلك فجوهر تجربة الحب الحقيقى هو الصدق . وإذا كان الموت هو

الحقيقة المؤكدة الماثلة أمام أعين البشر وتؤثر تأثيراً ضخماً في حياتهم وهى ذات مغزى ، فإنه على الطرف المقابل يأتى الحب الحقيقى ليصبح هو الحقيقة الآخرى المؤكدة والتى تؤثر في حياة البشر تأثيراً ضخماً وتحمل جل المعانى .

.. إذن فالحقيقتين الثابتتين في وجود الإنسان هما الحب والموت .. مركزا الحياة .. ومعنى الحياة .. يحددان مصير الإنسان ويشكلان وعيه ورؤياه وفلسفته ويؤثران على إدراكه وفهمه وسلوكه .. لحظة الحب الحقيقى هى لحظة الصدق . ولحظة الموت الحقيقى هى لحظة الصدق .

.. ولهذا فإن تجربة الحب الحقيقى لا يقوى عليها إلا إنسان صادق .. هذا هو الشرط الأول والأساسى . الحب الحقيقى يدل على صدق الإنسان الذى يعايشه . والإنسان الصادق يدلّل على أن حبه هو حب حقيقى . لا يمكن لكاذب أو مخادع أو منافق أو غشاش أو نصاب أن يعيش تجربة صدق .. ولايمكن للتجربة الصادقة أن تتحقق من خلال كاذب أو مخادع أو منافق أو غشاش أو نصاب .

□ □ □

.. وإذا كان جوهر الحب الحقيقى هو الصدق فإن جوهر الصدق هو الصدق مع النفس .. إن الصدق مع الذات هو أسمى وأعلى مراتب الصدق بل هو قلب الصدق .. فلا صدق بدون صدق مع الذات ، والصدق مع الذات يتطلب وعياً .. نضجاً . إستبصاراً .. شجاعة .. خبرة .. ثقة بالنفس .. فالصدق مع الذات هو القوة الحقيقية .. رمز القوة في الإنسان . من هو أقوى البشر ؟ إنه الإنسان الذى يتمتع بأكبر درجات الصدق مع الذات .. إنها البصيرة .. القدرة على النفاذ إلى الداخل .. السيطرة الكاملة على الوعى .. الفهم الحقيقى .. إنه التحرك

مع الداخل إلى الخارج .. من المركز إلى المحيط .. من القلب إلى الاطراف .. من الباطن إلى السطح . وتلك هى الحركة الطبيعية في الكون كله ، وذلك هو الناموس الطبيعى الذى حدد الله به علاقة الأشياء بعضها وعلاقة كل شيء مع نفسه .

وهذه هى الصورة المثلى الطبيعية التى صيغ الإنسان عليها .. أن يكون له وعى وحين يكون هذا الوعى صادقاً فإنه يحدد حركة الإنسان الطبيعية في الحياة بأن يكون هو مركز هذه الحركة . وبذلك يكون هذا الإنسان منسجماً مع كل ما هو طبيعى وصادق في الحياة .. ولهذا لا نتوقع منه إلا الصدق .. ولهذا فإنه في لحظة ما يستطيع أن يحب .. أى يختاره الحب حين يمهد له اللقاء مع ذات إنسانية أخرى تتحرك هى أيضاً من وعيها الصادق .. وبذلك يكون الحب الحقيقى التقاء ذاتين .. التقاء وعيين .

□ □ □

.. لا يمكن أن يتحقق حب حقيقى بين أثنين إلا إذا تحرك كل منهما من الداخل . من مركز الوعى .. أى لابد أن يكون كل منهما صادقاً مع ذاته .. وبذلك يتحرك كل منهما نحو الآخر وكأنه مُساق .. مدفوع .. كأن يداً خفية تدفعه ناحية الآخر .. يتحرك بحدسه .. بالهام معين .. بقوة غير مرئية .. بصيرته هى التى تقوده .

.. إن لحظة الصدق التى يشعرها كل منهما ناحية الآخر في لحظة اللقاء الأول أو في هذا الجزء من الثانية هو الذى يحدد مسار العلاقة بعد ذلك وهو الذى يجعل كل منهما يتوقف عند الآخر .. يندهش .. ينبهر .. تتحرك كل أجهزته تهيؤاً للحدث العظيم .. يشعر أنها أهم لحظة في حياته .. بل أخطر لحظة في حياته .. منعطف هام .. نقطة تحول

جذرية .. يرى أن المستقبل الحقيقى يبدأ من عند هذا الجزء من الثانية .. إنها لحظة كشف .. وتتسلط الأنوار كلها عند هذه البقعة من وعيه .. ويقترب دون خوف بجرأة قد تكون غير معتادة .. بثقة .. بتحد .. بشجاعة .. لا يمكن أن يترك هذه اللحظة من الزمان تفلت منه لأنه يريد أن يربطها بكل لحظات حياته المستقبلة .. وذلك تأكيداً للصدق .. لصدقه .. أى لتحركه من مركز وعيه .. فالصدق يجعله شجاعاً جريئاً واثقاً .

□ □ □

.. في اللحظة الأولى أو في هذا الجزء من الثانية ينتابه شعور الفرحة ممزوجاً بالطمأنينة ، ويندهش حين يتولد لديه شعور أخر غير مفهوم بأنه يعرف هذا الإنسان من زمن بعيد .. ألفة غريبة يشعرها مع هذا الغريب الذى لم يكن يعرفه من قبل والذى التقى به منذ لحظة واحدة .. ويتولد لديه شعور آخر أكثر غرابة بأنه سوف يظل يعرف هذا الإنسان بقية حياته من خلال علاقة قريبة جداً .

□ □ □

.. ولذلك فإننا حين نقول لإنسان إنضج فهذا معناه : كن نفسك .. وهذا معناه أيضاً : كن صادقاً مع ذاتك .. أى تحرك من داخلك .. تحرك من صميم ذاتك ومن مركز وعيك بفهم كامل وبصيرة .. وبذلك تكون اصيلا فهذه هى الأصالة .. بذلك تكون ناضجاً .. أى مؤهلاً للحب الحقيقى .. أى أن تكون إنساناً حقيقياً .

□ □ □

.. الإنسان الحقيقى هو الإنسان القادر على الحب .. هو الانسان المؤهل لان يُحب وأن يكون محبوباً أما الإنسان المزيف فهو غير قادر

على الحب .. ليس مؤهلاً لأن يُحب .. قد ينخدع بمظهره إنسان بسيط فيعجب به حين ، وقد يخدع هو الآخرين بعواطف زائفه .. ولكنه سرعان ما ينكشف أمره .. ولهذا ينتقل من علاقة إلى علاقة تحت مسمى الحب .. ولكنه حب زائف . وهو لا يستطيع أن يحب لانه لا يستطيع أن يعطى نفسه بالكامل . في الحب الحقيقى فإنك تعطى نفسك بالكامل لمن تحب أى تهبه حياتك ..

.. الانسان الحقيقى المؤهل للحب هو أنسان كريم سخى معطاء ..سعادته الحقيقية فى العطاء .. الانسان البخيل هو أنسان أنانى نرجسى .. والانانى لايحب .. والنرجسى لايحب .. الانانى النرجسى يريد كل شى لنفسه ، ولايرى الانفسه ويريد أن يسخر الاخرين لخدمته .. لايأبه لمشاعر الاخرين والامهم .. ولذلك فهو معزول نفسياً .. لقد أقام جدارا خرسانياً صلباً بينه وبين الاخرين .. بينه وبين جيرانه وزملائه وأقاربه ، ولذلك فهو غير مؤهل وغير مدرب لان يلتقى بتلك الذات الانسانية التى تجبره على هدم ذلك الجدار الذى يفصله عن الناس . وهو غير قادر على أن يثير الحب في صدور الاخرين .

هناك بشر يملكون هذة المقدرة العجيبة على تحريك مشاعر الاخرين إيجابيا تجاههم .. قادرين على تحريك العواطف ..قادرين على اشعال نار الحب فى قلوب الاخرين .. ثمة نور أو قُل إشعاع يصدر عنهم .. هالة تحيط بهم .. سر غامض لاتستطيع أن تدركه أو تفسره .. يجعلهم يستقرون على مقعد قلبك الرئيسى بمجرد أن تراهم وربما لأول وهلة .. بينما الانانى النرجسى يفتقد هذه المقدرة تماماً .. قد يثيرك بجماله ، وقد تعجب بنجاحه ، وقد تنبهر بذكائه ولكنه أبداً لايحرك قلبك..

.. والانسان الكريم لايكون كريما مع حبيبه فقط ولكنه موقف عام ..اسلوب حياة .. فلسفة خاصة .. هكذا هو من قبل أن يلتقي بمن يحب .. وهو موقف قائم على الاحساس بالاخرين .. الاحساس بالبشر والشعور بالمسئولية تجاه الانسانية عامة .. إنه يشفق ويعطف من قبل أن يعرف الحب طريقه الى قلبه .. وهو أيضا يحترم الذات الانسانية .. ينظر الى البشر على أنهم ذوات حرة مستقلة تحمل نزوعا للخير يفوق نزوعها للشر .. ولذلك فقدرته على التسامح عالية .. لاينصب نفسه قاضيا أو جلاداً .. ولايترفع أو يتعالى أو يتكبر .. ولهذا فالتواضع من صميم صفاته .. المتكبر لايستطيع أن يحب ، والمغرور لايستطيع أن يحب ولايستطيع أحد أن يحبه .. انها صفات تزيد من الهوة التى تفصل بين نفوس البشر ..

□ □ □

.. الإنسان المؤهل للحب لا يتمادى في عداء .. ولا يلجأ إلى العنف .. ولا يخطط لا يذاء .. ولا يسعد بمصيبة آخر .. ويهب عن طواعية وطيب خاطر لمساعدة من يحتاجه أو من يلجأ إليه .. لا توجد لديه ميول سادية على الاطلاق ولهذا فهو يتسم أيضاً بالشجاعة .. شجاعة مصدرها قوة إيمانية .. ايمانه بالله .. ولهذا فهو يحب كل مخلوقات الله ويتعاطف معها ويحترمها .. ولذلك يهتم بأن يكون له دور إيجابى في الحياة . يرفض أن يكون سلبياً ويرفض أن يكون عاطلاً ويرفض أن يكون متجمداً .. فهو إنسان نشط .. إنسان منتج .. إنسان يعمل ، ويجتهد أن يبدع وأن يطور ذاته .. ولهذا فهو فى حالة حركة مستمرة .. حركة للامام ولأعلى .. حركة إيجابية هادفة .. ولذلك فهو حين يحب فإن حبه يكون حقيقياً .

فالحب الحقيقى ليس مجرد هوى وميل وإنجذاب وتعلق وعاطفة .. الحب الحقيقى هو موقف وإتجاه وحركة وفعل .. حب يمتد نحو العالم ..

عالم الحركة والفعل والفكر .. الحب الحقيقى يشمل بناء الشخصية ذاتها وإرتباطاتها بعالمها المحيط .. الحب الحقيقى الصادر عن إنسان حقيقى هو فعل إبداعى لانه يتضمن إرتباطاً روحياً عميقاً بذات آخرى تتمتع بالنضج قادرة على العطاء المطلق والإحساس بالمسؤلية وإحتراك البشر والتعاطف معهم .. ذات مؤمنة متواضعة شجاعة .

□ □ □

.. هذا هو مفهوم النضوج والذى يجعل الإنسان صادقاً يتحرك من جوهر ذاته .. أى إنسان حقيقى .. إنسان يتمتع بصفات روحية سامية تتضاعف عشرات المرات وتتأكد وتثمر حين يلتقى بنصفه الأخر .. توأم روحه .. فيتاح حينئذ لفيض الخير الذى بداخله أن يجد من يتلقاه كالنهر السخى الذى لابد أن يجد أرضاً صالحة طيبة تتشرب مياهه وتزدهر بها .. ولذلك فالحب الحقيقى هو خبرة إبداعية .. والمحب هو أقرب إلى الفنان أو هو عاشق للفن .. والفن عنده أسلوب حياة .. إن تناوله للحياه هو تناول الفنان الذى يعطى كل إهتمامه لفنه .. عمله حتى وإن كان بسيطاً يحيله إلى فن .. يؤديه بإستمتاع وإتقان وإخلاص ويضفى عليه لمسات جمال .

.. حواره فن فهو لا يتلفظ إلا بكل ما هو جميل .. ذات معنى ومضمون إنسانى فكرى حتى وإن كان متواضعاً علمه وثقافته .

.. علاقاته بالأخرين من أغراب وجيران وزملاء وأصدقاء وأقارب فيها فن أيضاً .. فهى علاقات تتسم بالبراءة والبساطة والتلقائية والمباشرة والبعد عن سوء الظن وإفتراض الخير كأساس لكل علاقة إنسانية . فن يتبدى بوضوح في مودته التى تصبغ كل علاقاته الإنسانية بكل الطبقات الاجتماعية ..

.. وهو يتخير الأخيار لصحبتهم .. لا تقوى روحه على مصاحبة أو مزاملة خبيث أو مخادع أو منحرف أو متكبر أو أناني .. الإنسان الحقيقى يحيط نفسه ببشر حقيقيين ..

□ □ □

.. والإنسان الحقيقى هو الإنسان القادر على إتخاذ قرارات حقيقية .. أى القرارات الصادقة . الحقيقة والصدق وجهان للشجاعة . إذن هو إنسان حقيقى .. أى صادق .. أى شجاع ..

.. قراره حقيقى أى صادر منه هو .. من داخله .. من بؤرة ذاته .. وعين .. عقله .. وقلب باطنه .. دون أن يخضع لأى مؤثرات خارجية .. ولهذا فإختياراته حرة مطلقة .. وهو يتحمل مسؤلية إختياراته .. ولهذا لا يتنازل عنها بسهولة إزاء صعوبات أو مشاكل تواجهه . أما الإنسان المهزوز الذى يبنى مواقفه وقراراته على آراء الآخرين وتكون إختياراته خاضعة للايحاء من الآخرين فإنه يتنازل عنها بسهولة .. ينقلب إلى النقيض في ثانية .. يتراجع عن قراراته ومبادئه لأنه يعرف أنها غير حقيقية وغير صادقة .. أى ليست نابعة من ذاته . ولهذا فالإنسان الحقيقى يدافع عن حبه .. يحافظ عليه .. يناضل من أجله .. ولذا فالحب الحقيقى يستمر مدى الحياة .. أما الحب الزائف فهو حب مرحلة .. متقلب .. متغير .. هو الحب الذى من الممكن أن ينقلب الى جفوة أو كراهية أو تبلد تام على أقل تقدير .

.. والانسان الحقيقى بالرغم من أنه يتغير بمعنى أنه يتطور بل هو حريص على التطور إلا أن مبادئه الأساسية ثابتة .. جوهره ثابت .. ولذا فحبه ثابت .. فهو إنسان مؤمن بنفسه ، ومؤمن بمن يحب . وهو حين إختار فإنه قد إختار بإرادته الحرة ، إختار من صميم ذاته ولهذا فهو سيد قراره ..

قرار اتخذه بوعيه الكامل .. أى يعرف كيف إتخذه .. يستطيع أن يلمس ذلك فى أعماقه .. يعرف تماماً أنه صادر من أعمق أعماقه ولهذا فهو يتحمل كافة المسئوليات المتعلقة . بهذا القرار . ولذلك من النادر أن يستشير أحداً إذا واجهته صعوبة أو مشكلة ، ومن المستحيل أن ينصاع لرأى أحد يختلف مع رأيه أو يطلب منه التنازل أو التراجع عنه .. ولهذا فهو قد يتهم بالعناد أو بالضعف .. والحقيقة أنه ليس كذلك .. فالتصميم على الرأى ليس عناداً بل إيماناً .. وعدم القدرة على التراجع عنه ليس ضعفاً بل قوة ..

□ □ □

.. والقرار الحقيقى يصدر عن شيئين : الهام داخلى ، وفهم للذات والموضوع .. فالإنسان الحقيقى لأنه يتمتع بالصفاء فإن له بصيرة أكثر عمقاً ووعياً .. يعتمد على حدسه .. يهتدى إلى الطريق بفعل ضوء داخلى صادر من مكان ما في أعماق باطنه .. وهو يثق في هذا الالهام وهذا الحدس ويمشى وراءه بثقة ويؤمن به عن إقتناع .. قد يبدو هذا إقتناعاً غير موضوعى ولكنه في الحقيقة يمثل قمة الموضوعية لأن ذلك هو جوهر حياة الإنسان .. حياة باطنية وحياة خارجية .. حياة روحية وحياة مادية .. واقع ملموس وغيب غير مرئى .. وكلما كانت النفس مؤمنة صافية عامرة بالحب خالية من الحقد والحسد بعيدة عن الشر .. قريبة إلى الخير والتواضع .. كلما كانت أقدر على الاستشفاف والإدراك الخفى والرؤية الباطنية .. ولهذا فإن الإنسان الحقيقى حين يحب يدرك حقاً أنه يحب وأن حبه حقيقى ، لا أحد يهديه أو يدله على ذلك .. إنه يهتدى بنور داخلى يصدر من مكان ما في أعماقه .. وهو يفهم ذلك تماماً .. أى يفهم نفسه .. أى هو مستبصر ..

.. وهو أيضاً قرار مبنى على فهمه للإنسان وللموضوع .. أى للواقع الخيط .. فرؤياه ثاقبة مبنية على خيرة بريئة .. والخبرة البريئة هى القادرة على رؤية العلاقات الصحيحة بين الاشياء ، أما صاحب الخبرة الخبيثة أو المبنية على خبث أو التى أكسبت الإنسان خبثاً وسوء نيته فإنها ترى العلاقات مضطربة ومعوجة ومنحرفة ولهذا تكون علاقاته بالعالم الخارجى مبنية على الشك وسوء النية .. ولهذا فهى علاقات مضطربة قلقة وتسبب ألماً وتزيده حيرة وعداوة .

□ □ □

.. الإنسان الحقيقى لكل هذا يدرك أن قراره قرار صحيح وأن إختياره إختيار حكيم .. ولهذا يشعر بالطمأنينة والفرحة .. وتلك هى المشاعر المباغتة التى تنتاب الإنسان حين يلتقى بنصفه الآخر وتوأم روحه للمرة الأولى . ولهذا يشعر بسعادة طاغية خالية من الخوف وبعيدة عن الشعور بالذنب .. سعادة تجسد حريته المطلقة .. أما الإنسان غير الحقيقى فهو عبد ذليل خائف ولهذا فهو لا يثير حباً ولا يحظى بحب ..

□ □ □

.. وفي النهاية يهتف الإنسان الحقيقى صاحب القرار الحقيقى من أعماقه : أنا حر ..

.. إذن الإنسان الحقيقى هو إنسان حر .. شجاع قوى .. ورغم قوته فهو متواضع .. وتواضعه هو مصدر رحمته .. وتلك هى الشخصية الثرية السخية اللا محدودة الطموحة .. أما الإنسان الزائف فهو إنسان فقير ومحدود .. ليس فقراً مادياً ولكن فقر في الشخصية . لا يستطيع أن يبتعد خارج حدود ذاته ولهذا من المستحيل أن يلتقى مع جوهر ذات أخرى ..

وصحبته دائماً من الاشرار السيئين لأنهم يتكلمون لغة مشتركة .. مع السيئين يشعر بعدم التهديد .. لن يهدده أى حصار عاطفى .. الإنسان الزائف يخاف من حب الآخرين ويخاف من نفسه .. يخشى أن يقع في الحب .. وهو في الحقيقة لن يحب لأنه غير قادر على الحب .. وإذا تعلق بإنسان من الجنس الآخر فهو تعلق مادى .. مال أو جنس .. نفع أو شهوة .. أى قمة الفقر والزوال والعدمية ثم الحسرة .

الفصل الخامس

اكتشاف الذات

.. الحب يجعل الإنسان سعيداً .. إنه أقصى متعة روحية .. يلمس الإنسان بيديه وبروحه أعلى درجات السعادة .. وإذا تصورنا أن هذه السعادة معلقة في السماء فإن يدى الإنسان وروحه تصلان فعلاً إلى السماء .. والغريب أن الإنسان حين يحب يشعر أنه ولد من جديد .. إن يوم ميلاده الحقيقى هو اليوم الذى إلتقى فيه بحبيبه .

.. لماذا ؟ لماذا هذه السعادة وتلك الفرحة القصوى والتى بلا حدود والتى لم يشعر بها من قبل والتى لا يعرفها ولا يتصورها أى إنسان لا يحب مهما كان يبلغ ويملك من كل أسباب السعادة التى نعرفها في الحياة .. ؟

.. إن السبب يكمن في أمر هام وفريد وهو أن الإنسان يلتقى ولأول مرة منذ أن ولد مع ذاته الحقيقية . يلتقى مع نفسه .. يرى نفسه من الداخل .. يكتشف أو يعثر على مركز وعيه ، ومركز وعيه هو المحطة التى ينطلق منها إلى عنان السماء ليثمر ويبدع وينتج ويتحقق ويكتمل ويمتلىء ويعطى ويسخو ويثرى . إنه يرى « أنا » . يرى إمكانياتها الحقيقية .. يرى الخير والجمال الذى تحظى به ذاته ولم يكن يدركه أو يعرفه من قبل .. كيف ذلك .. ؟

إن فهم هذا يحتاج إلى قدر كبير من التخيل ولكي نقرب الصورة فإن الأمر يشبه اللحظة الأولى التي يلتقي فيها الإنسان مع وجهه في المرآة .. المرآة التي تعكس صورة وجه الإنسان فلنتصور إنساناً عاش في مكان لم تكن فيه مرآة .. وكبر هذا الإنسان دون أن يرى نفسه أبداً .. ماذا يشعر هذا الإنسان إذا أتينا له بمرآة يرى عليها صورة وجهه .. ستكون بالقطع لحظة إندهاش .. نشوى .. فرحة .. لحظة يعانق فيها نفسه .. يتعرف فيها على نفسه .. يصادق فيها نفسه .. يألف فيها نفسه .. ويهتف ويصيح « أنا » . ويكون لكلمة « أنا » معنى جديد .. رنين جديد .. وما كان يمكن أن يعرف « أنا » هذه إلا من خلال المرآة .. المرآة العاكسة للصورة . ولهذا فكل إنسان محتاج لمرآة . وهذه هي الفائدة العظيمة للمرآة في حياتنا لكي يلتقي الإنسان مع نفسه ويألفها ويحبها ويكتشف الجمال الظاهر منها . وكل شيء عظيم يحتاج لمرآة تعكس صورته لكي يراها .. ولا شيء أعظم من الإنسان .. وليس مهماً هنا أن يكون دميماً أو جميلاً .. بل كل إنسان جميل . أو به جمال . أو أن هناك من يراه جميلاً . أو من يراه أجمل مخلوق . عين أخرى تراه هكذا . وبذلك تصبح عينا الإنسان الآخر مرآة أخرى يرى عليها الإنسان صورته . فالحبيب يقول لحبيبه بصدق : أنت أجمل مخلوق على وجه الأرض . وهذا حقيقي . وهذا صدق . ولا نقصد هنا الرؤية الداخلية ولكننا نقصد بالتحديد الرؤية الخارجية ..

فالحبيب يكتشف الجمال الحقيقي لحبيبه . جمال شكله وملامحه . وكل عظيم وكل جليل يحتاج لمرآة تعكسه حتى يستطيع أن يرى ذاته وأن يتحقق منها وأن يحبها وأن يعجب بها .. الشمس بكل جلالها وعظمتها محرومة من هذه النعمة .. ليت هناك مرآة كونية ضخمة تعكس الشمس حتى تستطيع هذه الشمس أن ترى نفسها ..

.. وهذا ما يفعله الحب الحقيقى .. إنه مرآة الذات .. المرآة التى يلتقى فيها الإنسان مع نفسه .. مع ذاته .. مع جوهره .. مع وعيه .. مع « أنا » .. أن تكون محبوباً من إنسان آخر معناه أن تكتشف جوهرك الحقيقى عن طريق هذا الآخر . وأن تحب إنساناً معناه أن تتيح لهذا الإنسان أن يكتشف جوهره الحقيقى عن طريقك أنت ..

.. هذا هو الحب .. ظاهرة تقابلية .. لغز متفرد يشاهد فيه جوهر إنسانى جوهر آخر .. وهكذا تتواجد « الأنا » من خلال تواجد « الأنت » .. أو هكذا تتحقق « الأنا » من تواجدها من خلال تواجد « الأنت » .. إنه تحقق متبادل للوجود . ويحق للإنسان حينئذ أن يقول « أنا أحب إذن أنا موجود » . بمعنى أنا أدرك ذاتى وأعرفها حق المعرفة وأعرف إمكانياتها وقدراتها .. أعرف سموها ورفعتها .. أعرف طموحها نحو الخير ونزوعها للجمال .

□ □ □

.. فى عملية الانعكاس أنا أجرب وأتفهم للمرة الأولى تميز وعى الداخلى الحقيقى .. وهذه إحدى جوائز الحب العظيم التى يمنحها الحب للإنسان ويمنحها الحبيب لحبيبه ، وهى أن الإنسان يشعر بتفرده .. بتميزه .. بتفوقه .. بأهميته .. بقيمته الكبرى .. يشعر أنه ملك الملوك .. هكذا تنعكس ذاته وهكذا يرى ذاته على مرآة حبيبه . ولا يصبه ذلك بالدوار والغرور وإنما يشعر بالتواضع .. بل بمزيد من التواضع لأن تفرده وتميزه وتفوقه الذى يشعر به إنما هو تفرد العقل والحكمة والنضوج وذلك يقوده إلى التواضع بل قمة التواضع .

.. وأنت أيها المحب حين تدرك صورة ذاتك منعكسة على جوهر حبيبك ثم تدرك أن حبيبك يرى صورته منعكسة على جوهرك فإن هذا

الإدراك المتبادل يجعلك أيضاً تشعر بمدى أهميتك في أن ذاتاً أخرى قد رأت إنعكاس صورتها بفضلك وبسببك وبحبك .. إنك اسهمت في إكتشاف ذات أخرى .. أصبحت تدرك ذاتك وتدرك وجود هذه الذات الأخرى .. إدراك الوجود المتبادل .

هكذا تشعر بذاتك وتشعر بالذات الأخرى .. ونفس الحال مع الذات الأخرى إذ تشعر بذاتها وتشعر بذاتك أنت . وهكذا يكتسب كل منكما حساسية فريدة ناحية الطرف الآخر . تصل إلى قمة الاحساس به .. الشعور بإحتياجاته وبذلك تكون الاستجابة الفورية لتلك الاحتياجات .. تقرأ بسهولة تعبيرات وجهه .. نظرات عينيه .. نبرات صوته .. حركة جسمه .. هذا هو الحب .. الاحساس بالآخر .. الاحساس بتفرد الآخر .. الاحساس بحرية الآخر ووجوده كذات مستقلة قادرة على أن تعكس ذاتك وأنت قادر على أن تعكس ذاتها .

.. هكذا يتعرف الإنسان على نفسه ، ويصبح نفسه ، ويتعرف على ما هيته ، ويكون على بينة من وعيه ..

.. وهذا حدث كونى هام في حياة العشاق .. إنه ميلاد جديد .. فبعد أن تكتشف ذاتك ، وبعد أن تتيح لإنسان آخر أن يكتشف ذاتك فإنك تكون قادراً على رؤية هذا الآخر بطريقة مختلفة .. تراه كما لا يراه أحد .. وهو يراك كما لا يراك أحد . ومن موقعكما الفريد ، ومن توحدكما وتفردكما في آن واحد ، وبوعيكما الجديد أو بإدراككما لوعيكما الجديد فأنتما الآن تريان العالم بطريقة مختلفة .. رؤية جديدة .. أبعاد جديدة .. تجسيم جديد .. علاقات جديدة .. مفاهيم جديدة .. رؤى جديدة .. إنه إشعاع الحب يفترش الكون والنابع من داخلكما . إنه شيء لا يوصف ..

شيء غير قابل للشرح .. خبرة لا نستطيع أن نمسكها بأيدينا ولكننا نعيشها ..

.. إذن الحب هو الحقيقة .. حقيقة أن يتعرف الإنسان على حقيقته من خلال إنسان آخر وأن يتيح لهذا الآخر أن يتعرف على حقيقته .. وبذلك يكون الطريق سهلاً وممهداً لفهم الحقيقة الكلية للوجود .. هكذا تصبح أنت كالشمس التى إكتشفت ذاتها وإكتشفت شمساً أخرى فأضاء الكون بشمسين لا بشمس واحدة .. نور ساطع باهر .. نور حقيقى .. نور الحقيقة وحقيقة النور .

□ □ □

.. الحب هو تحقق .. تحقق للذات وتحقق للكون .. وهذا هو سر الحب الأعظم .. الحب خلق للذات .. الحب هو خلق لذاتك ولذات أخرى .. ولهذا فأنت حين تحب تقول بشعور يقينى صادق : أنا لا أتواجد بدونك ياحبيبى وأنت لا تتواجد بدونى .. وأنا وأنت نعتبر جوهر الوعى ولسنا أبداً مجرد أجساد أو كائنات تسعى بتلقائية وبدون وعى .. فنحن نحن .. نحن الارادة .. نحن الوعى .. نحن الهدف . نحن العمل والانتاج والابداع والتطور والنضوج .. نحن نحب . نحب وجودنا . نحب الكون . نحب الحياة . نحب ماضينا وحاضرنا . نحب المستقبل .. والأمل متجدد .. لا يأس على الاطلاق .. ولذا فنحن سعداء .. قمة السعادة والفرحة نلمس نجوم السماء بأيدينا وبأرواحنا .

□ □ □

.. ولذلك ينسجم الحب مع الطبيعة البشرية .. الطبيعة الفاهمة الواعية الباحثة عن أصل وجودها وسر تواجدها .. ولهذا فإن الانسان حين يحب

يبدأ بالادراك التام لجوهر الوعى وبالادراك التام لجوهر الآخر الواعى .. ثم ينتقل الحب بعد ذلك الى المشاعر فيهزها ثم ينتقل الى الاجساد .. المشاعر والاجساد هى وسائل للتعبير ليس أكثر .. ثم يعود ذلك الى الزواج والاطفال والاسرة ولكن نقطة البداية الاصلية وصميم الحب هى مركز الوعى .. أنها نقطة الانطلاق الى العالم كله ..إنه العثور على الذات والعبور إلى ذات أخرى ثم العثور عبر الجسد الى المجتمع والطبيعة وذلك بصحبة الذات الاخرى إنها حركة دائمة إبداعية .. نهر متدفق سخى ..منبع متجدد .. مجرى متحرك ..مصب مثمر ..إنه حياة ..حركة من الداخل الى الخارج .. حركة إبداعية ..حركةأساسها العطاء والسخاء والاثمار والازدهار ..

ولذلك لايبدا الحب أبداً بالشهوة الجسدية ..ولابالانبهار الشكلى . أى أنه لايمضى أبداً من الخارج الى الداخل .. إن ذلك عكس قانون الحياة وضد الطبيعة البشرية السوية

أن حبا يبدا بالرغبة الجسدية ليس حباً . الحب يبدأ من الجوهر .. من الداخل .. وهو إكتشاف لهذ الجوهر عن طريق الانسان الآخر وإتاحة الفرصة لهذا الآخر أن يكتشف جوهره عن طريقك .. إنه التقاء جوهرين .. وعيين .. روحين .ومن الجوهر ينطلقان معاً نحو العالم ليدركاه من جديد .. ليكتشفاه .

.. إن الهزة التى يستشعرها الجسد لذة حين يلتقى بحبيبه هى نشوة لقاء الروح .. عناق الداخل ..تمازج الوعيين .. أنها خبرة متفردة ومن الصعب وصفها ..إنها الخبرة التى تتيح الانصهار فى عناق شديد مع الابقاء على الفردية فى نفس الوقت وهذا هو جوهر الوجود كله .

.. وبذلك يستطيع الانسان أن يصل الى أعمق أعماق ذات حبيبه وأن يلمس جوهر وعيه ويشعر كل منهما أنه أصبح تحت سيطرة الاخر تماماً إنه التقابل السامى لوعيين . وهذا التقابل هو الذى يمنح لكل شىء معنى .. كل فعل .. كل تفاعل مع الناس .. كل لقاء مع الطبيعة .. وأيضا يعطى للقاء الجسدين معنى وقيمة وينقل المتعة الجنسية من درجة الغريزية الى درجات أعلى وأجمل وأمتع لايدركها ولايعرفها الا المحبون .

.. وحين يحدث الانكشاف ، إنكشاف جوهر كل منكما للآخر ، وإكتشاف كل منكما لجوهره بفضل الطرف الاخر تبنى أقوى جسور الثقة .. الثقة بالنفس والثقة بالآخر .. ومصدرها الايمان بالنفس والايمان بالآخر .. ولذا فإذا قلنا أن هناك حباً حقيقياً بين اثنين فلا مجال إذن لمناقشة موضوع الثقة .. الثقة داخلة في نسيج الحب .

أنا أحبك .. معناها أنا أؤمن بك وأؤمن بنفسي .. أى معناها أنا أثق بك ثقتى بنفسى .. إنه الاشعاع الذى إفترشت به النفوس نوراً فأتاح لكل محب أن يرى قدر الطهر فى نفسه ونفس الآخر .. أن يرى هذا النزوع نحو المثالية وأن يدرك القيمة الحقيقية لذاته ولذات المحبوب .. ونصل بهذا الى أن دعامتا الحب وهما الطهارة والطمأنينه ماكان لهما أن يكونا إلابفضل الايمان .

.. وإذا كان داخلى متاح ومكشوف تماماً للآخر والذى بفضله عثرت عليه أنا أيضاً فإننى أجد سعادتى وراحتى بالبوح له بكل شىء .. إنفتاح وأنكشاف كاملين .. أكون نفسى أمام حبيبى .. أكون أنا كما هو أنا .. أكون على طبيعتى ..لا اداری شیئاً ولا أخجل من شى وهل يخجل الانسان من نفسه !! وهل يخجل الانسان من الذى أعانه على أن يرى نفسه !!

إن حبيبى هو حامل المصباح الذى أنار كل جنبات نفسى وكل جنبات وجودى ، وهو المطلع الأوحد على كل خبايا نفسى ، إنه الادراك الكامل والمعرفة المطلقة التى تحقق للانسان التوحد مع الآخرين .. إن ذلك يحقق للانسان سعادة أن يكون نفسه وتحقق للانسان ضرباً من الطمأنينه وتقضى على إحساسه يالوحدة .. إحساسه بأنه ذات منغلقه على نفسها .. إحساسه بالهوة التى تفصله عن الآخرين .. إحساسه بالجدار الاصم بينه وبين الآخرين .. حين أحب أنهدم الجدار وإختفت الهوة وأنفتحت الذات على أخرى .. ولذا نجد المحبين يجدون راحة كبرى فى الكلام والبوح بكل أسرارهما .. يشعر كل منهما براحة كبرى وهو يحكى أدق تفاصيل حياته الماضية والحاضرة .. لاخجل ولاحياء بين المحبين .. يشعر الواحد منهما أنه يحادث نفسه .. فحبيبه هو نفسه .

الفصل السادس

اكتشاف انسان اخر

.. يقول الرجل للمرأة التى يحبها : أعبدك .
.. وتقول المرأة للرجل الذى تحبه : أعبدك .
.. أى أن كلا منهما العابد والمعبود .

.. والعبادة إيمان وتسليم وخروج عن الذات والتخلى التام عن الأنانية .. ولا تقوى على ذلك إلا النفس المحبة العاشقة .. وهى النفس الثرية الغنية الكريمة .. وهذه هى الطبيعة المتسامية للحب . البخيل عاجز عن الحب .. والأنانى أكثر عجزاً .. وعند محراب الحب يخلع الإنسان المحب ما علق بنفسه من بخل وأنانية ونرجسية .

والإنسان حين يحب من جوهر وعين فإن هذا الوعى يتخطى الذات ليدرك ويلتقى مع الذات الداخلية لإنسان آخر .. والتعبد هو التعبير الدقيق عن هذا .. وهذه هى القدسية بعينها .

.. التعبد يقودنا إلى التقديس وهذا لا يتحقق إلا بالخروج من الذات والانفتاح على الذات الآخرى .. إدراك هذه الذات كأعلى قيمة .. كأثمن جوهرة .. كمثل أعلى حتى وإن لم يكن كذلك ، فالحب يكون له من القدرة ما يتيح له أن يتبين الامكانيات الهائلة التى يتمتع بها المحبوب والتى تتيح له أن يعلو ويسمو ويحقق المثل الأعلى . وهذه هى الطبيعة الاصيلة للإنسان الحق وهى أن يخترق أسوار ذاته وهذا يعنى أنه فى حاجة

إلى أن يعطى وأن يصبح رقيقاً عطوفاً .. ولذا فالحبيب يعطى بسخاء ، ويكون في أكثر حالاته رقة وعطفاً وسماحة مع حبيبه .. وهذا هو الفرق بين البحر الميت أو البحيرة المنغلقة على مائها وبين النهر المتدفق السخى لأن له منفذاً يستطيع من خلاله أن يعطى .. إنه غنى بذاته لانه يستطيع أن يعطى من مياهه فتحمل الأرض زهراً وثمراً .. سخاء وخصوبة . ولذا فالنهر عابد معبود ، تماماً مثل الحب . أما البحر الميت فإنه يفزعنا .. يخيفنا .. لأنه تعود على أن يحتفظ بما لديه من مياه .

□ □ □

.. إن التعبد هو منتهى التعبير عن إختراق الذات لأسوارها وعبورها من خلال جوهرك إلى جوهر آخر .

.. أن تقول لمحبوبك أنا أحبك أو أنا أبجلك أو أنا أعبدك معناها أن تجد طريقك إلى محبوبك بدون التفكير في ذاتك ، ولكنك على أى حال ستظل ذاتك لكى تستطيع أن تستمر في التدفق والسخاء والعطاء . فلكى تعطى ينبغى أن تكون حراً مستقلاً ثرياً . وبإرادتك الواعية تسلم كل ما عندك لحبيبك .

.. إذن الحب هو حاجة ملحة للنفس البشرية .. الحاجة للخروج من دائرة الذات المغلقة والاتجاه إلى ذات آخرى لكى نعطى .. لكى نقدم له كل شىء .. نحن لا نذهب إلى هذه الذات لكى نأخذ أو لكى نحقق منفعة ولكن نحن نتجه للحبيب لذاته .. لكينونته .. ولأنه هو الذى يعطى لنا الفرصة لكى نعطى . هو الذى يتيح للنهر المنفذ والمصب ، وبدون المصب يتوقف النهر .. تتوقف الحركة .. يتوقف العطاء .. يصبح النهر ميتاً .. وهكذا حياة الإنسا تكون راكدة متوقفة إلى أن يحب .. فإذا أحب دبت الحياة في رو ، وجسده .. يتحرك .. لينشط .. يعلو ..

يسمو .. يبدع . إذن الحب حركة .. فعل .. عمل .. حياة . ووراء كل ذلك رغبة حقيقية في العطاء .

□ □ □

.. إذا أحب الإنسان نفسه فقط فإنه لا يستطيع أن يخرج من حدود ذاته ليحب الآخر .

وإذا كان الإنسان أنانياً أى يكره العطاء فإنه ليس بمقدوره أن يحب آخر لأن هذا الحب يفرض عليه طواعية وإختياراً أن يعطى وألا ينتظر مقابلا .

.. بمجرد أن يحب الإنسان يشعر أنه قد تحول إلى كيان نورى يشع بكل ما هو جميل .. يضفى الجمال والخير والبركة . يستعذب العطاء ليس لحبيبه فقط وإنما لكل الدنيا وبذلك ينجو بنفسه من عالمنا المادى الأنانى .

إن الحب هو الطريق الوحيد الذى يأخذنا إلى جنة الأحلام بعيداً عن نار الواقع بماديته وأنانيته .

.. في جنة الحب تأتى (أنت) قبل (أنا) .. في واقعنا حين يخلو من الحب تأتى (أنا) قبل (أنت) .. وإذا سألنا أنفسنا كيف إستطاع هذا المحب أن يخرج من حدود ذاته ويتجه إلى الطرف الأخر ؟ ماذا وجد في هذا الآخر حتى يجازف ويخرج من حدود ذاته وينطلق بشوق وحماس وإقتناع ويقين ناحية . هذا الآخر ؟ لماذا لم يتريث ؟ لماذا لم يحسب ويقدر ؟ ألا يخشى أن يندم ؟ ألا يترك الباب مفتوحاً لكى يتراجع إذا أراد ؟ والحقيقة أنه لا إجابة عن كل هذه الاسئلة .. إنه شيء كالحدس الداخلى أو كالالهام .

إذن فالحب ليس مجرد عاطفة أو رغبة .. إنه تحرك كلى للنفس نحو الآخر .. إنه إذابة لكل الحدود والفواصل .. الانسان يتحرك بكل مالديه وهل هناك أغلى وأثمن من ذاته ليعطيها بدون تحفظ لمحبوبه .. وبدون معرفة سابقة وبنفس الحدس والالهام يدرك مالدى المحبوب من إمكانيات هائلة كإنسان غير عادى . من اللحظة الأولى يدرك ماهيته .. يدرك كم هو رائع وعظيم وجميل وأنه مؤهل للصعود إلى سماء الفضيلة والمثالية والكمال . ويشعر بأن القدر وضعه في طريقه وأن دوره أن يعينه على هذا الصعود . يعينه على أن يكون خالقه . وفي نفس الوقت يشعر هذا المحب بحاجته إلى هذا المحبوب لكى يخلقه ، لكى يعينه هو ذاته على الترق والصعود إلى سماء الفضيلة والمثالية والكمال .. إنه النزوع المطلق القوى نحو المثل الأعلى .

.. تعالى ياحبيبى لاخلقك .
.. تعالى ياحبيبى لتخلقنى .

.. وبذلك يصبح الإنسان في علاقة الحب هو الخالق والمخلوق .. وهو العابد والمعبود .. ولذلك نظرة المحب إلى محبوبه هى نظرة سامية .. فمعبوده لا مثيل له ، وخالقه لا مثيل له .. بدونه هو ناقص غير مكتمل .. من غيره هو خائف قلق .. من قبله هو حزين مهموم .. بدونه هو أسير وحيد .. ولذلك حين يلتقى به يطمئن قلبه ويسر خاطره ويشعر بالاكتمال .. هو الوحيد دون العالم كله الذى يمنحه هذه الاحاسيس السارة المطمئنة .

هو القوة وهو الحماية وهو السلام وهو الطمأنينة .. هو الركن الهادىء وهو الصدر الحنون .. يشعر بانجذاب شديد نحوه ولا مفر من الاندفاع إليه بإرادته وطوعاً وبرضا وسرور.. إنه شخص واحد فقط

الذى يفعل بنا كل ذلك .. لا أحد غيره .. ولا يمكن إستبداله .. ولا يمكن مقارنته بأى إنسان آخر . إنه فوق الجميع . هو الوحيد الذى يمنحنا السعادة والطمأنينة . إنه الجنة الحقيقية على الأرض .. وما الجنة إلا السرور والسلام .

□ □ □

.. وهذا النفاذ إلى ذات آخرى يحقق لذة قصوى .. إنها لذة معرفة إنسان إلى أقصى درجة .. فأى إنسان يبدو أمامنا لغزاً .. حتى أبينا وأمنا .. حتى ابناؤنا وبناتنا .. حتى أصدقاؤنا .. ولكن هناك شخص واحد نقترب منه إقتراباً شديداً . ونظل نقترب ونقترب حتى نعرف دقائق نفسه .. فتحدث ألفة شديدة بيننا وبين دقائق هذه النفس فنحبه حباً شديداً .. وبذلك نفهمه من صوته .. من أبسط ملامح وجهه . وبذلك ينكشف حجاب الإنسانية أمامنا . ولأن هذا لا يتحقق إلا مع إنسان واحد فقط فإننا لا نستطيع أن نتخلى عنه أبداً .. لا نستطيع في يوم من الأيام أن نبعد عنه نفسياً .

.. والغريب في الأمر أن هذا الفهم العميق وهذه المعرفة الأصيلة لهذا الشخص تتيح لنا أيضاً أن نقترب من عيوبه أكثر وأكثر .. وياللعجب نجد أننا نحب هذه العيوب . فهذه العيوب النفسية أو الشكلية هى جزء من هذا الكل الذى أحببناه . على المستوى الشكلى نجد شيئاً من هذا يحدث : فإذا كان حبيبنا أصلع أو معوج الأنف أو له أسنان بارزة أو قصير القامة أو لا يرى إلا بالكاد أو حتى لا يرى على الاطلاق .. إذ بنا نحب حباً شديداً هذه العيوب فهذا الشيء - المعيوب - هو جزء من الكل .. جزء من الإنسان الذى أحببناه .. ينتمى إليه .

.. وحتى العيوب النفسية أو الاخلاقية التى يفزع منها الناس لا تكون سبباً في إبتعادنا عن المحبوب ولا نأخذ منها موقفاً ناقداً مثل بقية الناس ..

فنحن الأقدر عن طريق الحب على رؤية الجانب الطيب الحقيقى في هذه الشخصية الانسانية .. فنحن في الحقيقة لا نحب إلا إنساناً طيباً .. لا نستطيع أن نحب إنساناً شريراً .. شرير بمعنى أنه لا عواطف ولا قلب له ، أنانى ، بخيل ، يسعد بإيذاء الآخرين ، حاسد ، حقود .. هذه صفات تبعدنا عن أى إنسان . ولكن قد يبدو إنسان أنه بخيل أو حاقد أو عدوانى أو غير أمين .. هذه هى الظواهر التى يراها كل الناس . ولكن يأتى الإنسان الذى أحبه والذى إستطاع أن يخترق حواجز ذاته وأن ينفذ إلى جوهره وإلى أعمق أعماقه فيرى إنساناً مختلفاً عن الذى يراه الناس .. يرى الجانب الطيب الأصيل ويرى النفس الأصيلة .. أما العيوب التى يراها الناس فإنه وحده – أى المحب – هو الذى يستطيع أن يتتبع جذورها ويعرف أسبابها ومصادرها . يستطيع أن يراها كعوارض مؤقتة ، وأنه يستطيع أن يخلصه من هذه العيوب ليس فقط ليبدو جميلاً ومقبولاً أمام الناس ولكن ليخلصه من المعاناة ويخلصه من الأسباب التى أدت إليها ولكى تنسجم كل أجزاء النفس مع بعضها .

□ □ □

.. هذه هى روعة الحب . روعة أن ننفذ إلى أعماق إنسان ونفهم أدق خبايا نفسه وخبايا روحه وأن ينفذ هو إلى أعماقنا .. ولهذا فهى علاقة أبدية .. علاقة فريدة . علاقة لا تتاح إلا مرة واحدة في حياة قلة من البشر .. علاقة ندافع عنها حتى الموت .. علاقة نؤمن بها .. ونؤمن بالإنسان الذى أسهم معنا في خلق هذه العلاقة .. أى نؤمن بالحب وبالمحبوب وبأنفسنا .. نؤمن أن حبنا يستحق المخاطرة والقوة والشجاعة والتحدى حتى وإن إتحدت كل قوى العالم ضدنا فالمحب كالفدائى الذى يؤمن بوطنه ويحبه ويخاطر بحياته من أجله ..

قد لا يرى الناس وجهة نظرنا . قد يختلفون معنا .. قد يدينون بشدة ذلك الإنسان الذى أحببناه . قد يؤمنون بقيم مختلفة . ولكن يأتى الحب فيرى مالايراه الناس .. ويرى أن محبوبه يستحق أن نضحى وأن نتألم وأن نناضل من أجله .. وأنه يستحق أن نهبه حياتنا طوعاً ورضا .. ولذلك فالعاشق هو إنسان مؤمن شجاع مخاطر جرىء مناضل يكره الضعف والاستسلام . لا يضحى بقلق الحب من أجل سلام زائف لا ينعم به غير المؤمن .. قلق الحب عنده أروع وأعذب من سلام الموتى .. بل يتمسك بالصعاب التى تواجهه من أجل أن يتحداها وينتصر عليها ويظفر بحبيبه ويحافظ على حبه ويطير بعد ذلك إلى سماء السعادة الحقة .

.. ليرتفع بحبه وحبيبه إلى أعلى سماء حيث يكونان معاً .. وحدة قائمة بذاتها وبذلك يصبح لا شىء قابل للمقارنة أو الحساب .. إن حبه مطلق وحبيبه مطلق .. وبذلك يعانق اللا محدود واللامتناهى والمطلق .

.. هذه هى قمة كسر حدود الذات والانطلاق إلى حيث جوهر المحبوب .. أرض جديدة .. سماء جديدة .. بل كون جديد .. كون المحبين .

□ □ □

.. هذا الحب لا بداية له ولا نهاية .. بدأ من قبل أن يلتقيا .. هى خلقت له وهو جعل لها .. لم يكن من الممكن أن تحب شخصاً آخر غيره وهو لم يكن من الممكن أن يحب إنسانة أخرى غيرها .. ولهذا فإننا لا نسمع من المحب عبارات مثل : أحبك لأنك طيب أو لانك جميل أو لانك ذكى .. لا علة .. لا سبب .. لا تاريخ .. لا ميقات محدد ..

.. ولم يكن ليستطيع أحد أن يجعلنى أخرج عن ذاتى طوعاً وإختياراً وأتخلى تماماً عن حريتى بإرادتى إلا أنت .. ولولاك أنت بالذات لما تملكتنى الشجاعة لأخرج عن حدود ذاتى لاخترق ذاتك وأدخل إلى صميم جوهرك .. ولذا لافناء للحب .. إنه يستمر حتى بعد الموت .

الفصل السابع

العطـــــاء

.. لا نغالى اذا قلنا أن الحب هو أقدس رابطة بين اثنين من البشر .. ولانغالى أيضاً إذا قلنا أنه المنبع الحق للخير فى الحياة .. ولايمكن أن تنمو زهرة وأن تنضج ثمرة وأن يشب إنسان إلا إذا كان هناك حب يرعى هذا النمو والازدهار .

لاتنمو الموجودات إلابفعل الحب لان النمو يحتاج الى رعاية ، والرعاية الحقيقية التى تضمن النمو والاستمرار لاتأتى إلامن خلال حب .

. أن أحبك معناها أننى قررت أن أتولى مسئولية رعايتك . أن أكرس حياتى من أجلك وأنك لو إحتجت حياتى لأعطيتها لك عن طيب خاطر .

.. أن أحبك معناها أننى أهب نفسى .. روحى .. والهبة هنا معنوية وليست مادية . والرعاية لاتعنى المسئولية المادية ولكن المسئولية النفسية . وذلك لانك أهم إنسان في حياتى . إنك الاول . إنه لايوجد من يحل محلك . لايمكن إستبدالك .

.. هذا هو المعيار الاساسى في الحب الحقيقى والذى يتلخص فى الالتزام والاحساس بالواجب وفى تكريس نفسك لحبيبك .

.. والانسان هو الكائن الوحيد الذى يستطيع أن يكرس حياته من أجل إنسان أخر . الحيوان لايستطيع أن يفعل ذلك . إن العطاء المطلق هو فعل إنسانى بحت وهذا العطاء المطلق لايمكن أن يكون إلامن خلال

حب حقيقى . إنه عطاء المحب للمحبوب . ولابد أن تكون مقدرة العطاء موجودة أصلاً عند هذا الانسان . وتلك أحد المؤهلات الاساسية التى تؤهل الانسان لكى يكون قادراً على الحب . أى أن تكون لديه القدرة على تكريس حياته من أجل إنسان أخر . أن تكون لديه القدرة على العطاء النفسى . أن يعطى جزءا من وقته واهتمامه واحساسه وتفكيره لانسان أخر . أن يهتم بقضاياه . أن يعيش مشاكله . أن يدرك بإحساس صادق معاناته . أن يكون قادراً عن طيب خاطر وبلاشروط وبلامقابل أن يكون بجانب هذا الانسان الآخر .

بهذا يكون ذلك الانسان مؤهلاً لان يعيش الحب الحقيقى . وهو حين يحب يدرك هذا تماماً . يدرك أنه قد إختار . بوعيه وإرادته أن يهب حياته لانسان آخر . أنه قرر وإختار أن يعطى بلا مقابل . أن يتفانى . أن يضحى . وتلك هى متعته الكبرى . تلك هى قمة سعادته . الانسان فى هذه الحالة يتمتع بمشاعره هو . تلك المشاعر الفياضة التى تهب وتمنح وتعطى وتسخو . إن مايهم في هذه الحالة هى مشاعره وأحاسيسه . مشاعره التى تفتحت على الشخص الاخر . وأحاسيسه الصادقة بالرغبة فى العطاء والتضحية والتفانى . إنه هنا لايعنيه الطرف الآخر . أى لايعنيه رد فعله . ولاينتظر منه شيئا مقابلا . لايسعده أن يقابله حبيبه بالعطاء المتبادل . إنه لاينتظر هذا إطلاقاً. إنه لايريد شيئاً لنفسه ولايسعى لمقابل . أنه يسعد فقط بعطائه .

تلك هي سعادته الحقه . وهو فى هذه الحالة لايحب من أجل أن يكون محبوباً . ولكنه يحب من أجل ذات محبوبه . من أجل جوهر هذا المحبوب . وهذه سمة من سمات الملائكه . فالبشر القادرون على الحب هم أقرب الى طباع الملائكة .

.. اذن فى الحب الحقيقى لايوجد أى شروط مسبقه . أنا أحبك وأرعاك لاننى قد إخترت أن أحبك وأرعاك ولاأريد أى شىء فى المقابل ولا أتوقع أى شىء فقرارى بتكريس نفسى من أجلك غير مُقيد وأننى لاأفعل ذلك لتحقيق أهداف فى المقابل .. أننى أحب وأتفانى لاننى قررت أن أحب وأتفانى ..

. إن القرار بالتفانى هو تضحية بالنفس . والمتعة فى الحب تتحقق بأن نحب ونسعد بأحاسيسنا ومشاعرنا أكثر من سعادتنا بها تجلبه لنا هذه المشاعر في المقابل . وسأظل أعطى وأعطى بلا نهاية ولاحدود .

.. والمحبوب حين يفعل نفس الشىء أى يعطى كل ذاته وكل وجوده يكتشف حينئذ المحب أنه يأخذ كثيراً بالرغم من أنه لايريد ذلك .. لقد قرر أن يعطى كل شىء فإذا به يأخذ كل شىء . يعطى كل نفسه فإذا به يجد أن محبوبه .. يمنحه كل نفسه . يعطى كل وجوده فإذا به يجد محبوبه يتنازل عن كل وجوده من أجله .

والعطاء هنا هو عطاء الذات .. عطاء النفس .. عطاء الوجود ..وهو أثمن من أى عطاء مادى .. وأى عطاء مادى مهما عظم لايوازى ذرة من العطاء النفسى الذى يمنحه المحب لمحبوبه . ولهذا فالانسان لايستطيع بمال الدنيا كله أن يحصل على ذرة إهتمام من إنسان أخر . إن الثراء النفسى هو مايهم فى علاقة الحب .. المحب يدرك مدى الثراء النفسى الذى يتمتع به محبوبه وابداً لاينظر الى مايملكه من مال وأشياء . المال والاشياء لاتزيد مكانة المحب عند محبوبه .

.. والعطاء هنا نابع من إرادة حرة . إنه تعبير عن الحرية . ولايستطيع أن يعطى بسخاء وبتفانى إلا الانسان الحر .. والحب هو التعبير الحقيقى عن قمة الحرية .. التى يتمتع بها الانسان . ولهذا فالانسان حين يحب

وحين يعطى يشعر بحريته الحقيقيه . يشعر بالأنا فى أوج صدقها وقوتها وجمالها وإبداعها ..

.. إذن فى الحب تحقيق للذات وتأكيد لحريتها من خلال الرعاية والعطاء والتضحية والالتزام بالطرف الآخر . ولهذا فالعطاء يحقق المتعة الحقيقيه فى الحب . العطاء أكثر إمتاعا من الأخذ . وهو عطاء مبنى على الادراك الواعي للقيمة النفسية الحقيقية للطرف الآخر . قيمة عليا سامية متفردة جديرة بأن تكون مسؤلاً عنها . جديرة بالاحترام . الاحترام لكيانها المتفرد . لماهيتها . لحريتها .

.. وهو لأنه سام ورفيع وحر فإنه إختارنى بمحض إرادته .. إختارنى لأننى «أنا» .. «أنا» كقيمة سامية رفيعه منفردة . إختارنى بملء إرادته وكل حريته . وإختار أن يعطى ذاته ووجوده . إختار أن يضحي من أجلى وأن يتفانى فى سبيل سعادتى ووجودى .

إذن هى رعاية متبادلة . إحترام متبادل . مسئولية متبادلة . ولايقوى على ذلك إلا الاحرار . أثرياء النفس . الأخيار الملائكة . إنهم القلة النادرة من البشر .

.. ولذلك لايحظى بالحب إلا من يستحق الحب ومن هو مؤهل للحب . إنها النفس الطيبة الخيرة الثرية المعطاءة الخالية من الكبرياء والغرور والانانيه والنرجسية . وكل محب يستطيع بسهولة أن يتعرف على محبوبه . أن ينفذ الى جوهره وأن يرى طاقات النور المنبعثة من صميمه . إنها القدرة على النفاذ التى يتمتع بها المحبون . القدرة على الاكتشاف . القدرة على المعرفة . إنه الالهام والحدس والمقدرة الخاصة . إنها الشفافيه والبراءة والطهارة . إن هذا هو أنت وهذا هو أنت .. لذا إلتقينا وتحابينا

منذ اللحظة الاولى بل ومن قبل ذلك وسيظل هذاطوال عمرى وعمرك وهذا هو أعظم دليل على مصداقية حُبنا . إنه الوفاء .. أى السنين .. أى المستقبل .. أى العمر بأُكمله .. ماهو آت ..

.. هذا التفانى نراه فى الحنان والمودة والرحمة والكرم وتلك مفردات المشاعر التى يشعرها المحب نحو محبوبه . وتلك هى الاحتياجات النفسية التى يتوقعها المحبوب من حبيبه والتى تحقق له ! شباعاً وارضاء . وتلك هى الواحة الجميلة الوارفة التى يستظل بها المحبون . تلك هي المشاعر الدقيقة التى لاينعم بها إلا المحبون والمقصورة على علاقة الحب . ولهذا فالمحب يفيض حناناً ورقة ورحمة ومودة وسخاء نحو محبوبه . من عينيه ومن لمساته ومن أنفاسه ومن ملامحه يشيع ذلك الحنان وتلك الرحمة وهذه المودة .. قمة الحنان والرحمة والمودة والكرم . قمم لاتعلوها قمم أخرى .

.. ولأن هذه المشاعر متبادلة فإن ثمة وحدة التجمع بين المحب ومحبوبه . تشملهمامعاً . تمزجهما ..وهذا أمر لايدركه إلاالمحبون . فهما فى قمة ذوبان كل منهما فى الاخر يشعران بتفردهما . بل أن كل منهما لايشعر بأنه ذات متفردة أصيلة قوية متميزة إلا فى إطار هذا الامتزاج والتماذج .. إنه الامتزاج الذى يعطى لكل طرف الاحساس الكامل بإستقلاليته . وربما يرجع ذلك إلى أن الرجل لايشعر برجولته الحقة إلا من خلال المرأة التى تحبه ويحبها ، والمرأة لاتشعر بأنوثتها الحقة إلا من خلال الرجل الذى يحبها وتحبه .. إنه أحبها بكل رجولته ومن خلال رجولته .. وهى أحبته بكل أنوثتها . ومن خلال أنوثتها . أحبت رجولته وأحب أنوثتها . إمتزجا كروحين مما أتاح لأنوثتها ولرجولته أن تظهرا بوضوح على خلفية هذا الامتزاج الروحى العميق .

.. هكذا يشعر كل منهما نحو نفسه . وهكذا يشعر كل منهما نحو الآخر . فهو يراها أبدع أنثى خلقها الله .. وهى تراه أبدع رجل خلقه الله .. هى أعظم نموذج للأنثى . وهو أعظم نموذج للرجل .. وهى أقرب أنثى الى قلبه وعقله وإحساسه وهو أقرب رجل الى قلبها وعقلها واحساسها . ولهذا يتحقق منهما أقصى درجة من الانجذاب بين الذكر والانثى حتى يستحيلان كياناً واحداً يشعران فيه بقمة التمايز الانثوى والذكرى . ينشدان كل الوقت الالتصاق الكامل حتى الذوبان حتى وإن باعدت بينهما بلاد وبلاد ومسافات ومسافات .. ولهذا فالحنين دائم والشوق مستمر . الحنين للاقتراب والشوق للذوبان . كل منهما يعيش أخيلة وأحلام الذوبان وتلك هى السعادة والنشوى .

.. ولذلك فالابتعاد يسبب ألماً قاسياً .. ولذا يموت الحبيب ولا يبتعد عن حبيبه أو هو لايتخيل الحياة بعيدا عنه .. لايتحمل أن يتوقف عن عطائه النفسى لحبيبه ولايدرى حينئذ ماذ يفعل بحنانه الذى يملأ قلبه ووجدانه ..

.. وأكثر مايخشاه هو الموت . فهو الوحيد القادر على أن يبعده الى الأبد وبدون رجعة .. فالمحب يتعلق بوجود محبوبه ولايتصور أن تكون له حياة من بعده .. حياته معلقة بحياته .. بل الكون كله معلق بوجود المحبوب إذ يصبح المحبوب هو مركز الكون . ولذا فهو يحبه بلا شروط وبلا مقابل يكفى وجوده . مجرد وجوده . يحتاج وجوده . يحتاجه لأنه يحبه وليس يحبه لانه يحتاجه . هذا هو الحب غير المشروط وهو أقرب الى حب الأم لطفلها .

.. وحين يدرك المحبوب تلك المشاعر العميقة السامية التى يكنها لها حبيبه فإنه يشعر أنه على قمة العالم . ملك الملوك . الاوحد . إذ ليس

أروع من أن يشعر الانسان إنه محبوب لذاته . محبوب لوجوده محبوب لكونه هو وليس لما يتمتع به من مزايا . ليس لانه ثرى أو جميل . محبوب دون أن يبذل مجهوداً . دون أن يسعى هو لذلك . حباً حقيقياً وليس إعجاباً .

.. إذا شعرت أنك تحب إنساناً لما يتمتع به من مزايا فأنت لاتحبه بل تحب مزاياه وتعجب به فإذا زالت عنه هذه المزايا فانك تفقد مشاعرك نحوه .. أما فى الحب الحقيقى فأنت ترى حبيبك كحقيقه كلية شاملة . هناك شمولية فى الحب الحقيقى . من خلال هذه الحقيقة الكلية الشاملة ترى فى حبيبك مالايراه كل الناس تراه كمخلوق أصيل فريد لامثيل له . لايضاهيه أحد ولايشبهه أحد . بل هو عال عال

.. الحب الحقيقى معناه أن تكون لك هذه القدرة العجيبة على النفاذ الى داخل هذا الانسان لترى سحره وكماله وجماله ونقاءه وبراءته وطهارته وأن تتعرف على إمكانياته الحقيقية التى سوف تتيح له من خلالك أن يسمو ويسمو ويصبح مثلاً أعلى .

فأنت الوحيد الذى ترى أنه مؤهل لهذه المكانة العالية السامية الرفيعة . ولهذا فأنت تراه أعظم خلق الله . ولهذا لايعجبك أحد غيره . لايهز إنسان آخر شعرة فى جسدك ولايحرك لك وجداناً ولايثير لك فكراً . يصبح كل الناس عديمى التأثير . هو وحده فقط الذى إستثار لديك كل المشاعر وكل الافكار وكل المسام وكل الاحاسيس وكل الحواس . وهو الوحيد الذى يحرك جسدك إذيكتسب جلدك حصانة ضد أي لمس من أنسان آخر . ولايتحرك أى نبض إلامن خلاله . تموت النبضات إذا حاول آخر أن يثيرها أو إذا حاول الشيطان أن يدفعك بعيداً

عنه في لحظة ضعف . سرعان ماتفيق وتفزع وتهرع وتبتعد وتكتئب وتعاقب نفسك حتى الموت .

.. قد تتعرض سفينة الحب الحقيقى لموجات عاتية ورياح قاسية . صراعات وأعاصير وهزات . ولكنك أبداً لاتقذف بنفسك بعيداً لتنجو . لاتلجأ الى سفينه أخرى لاتبحث عن شاطىء . إنك كالقبطان النبيل الشجاع الذى يهيم حباً وعشقاً بسفينته حتى وإن ضعفت ووهنت أمام الضربات حتى وإن كانت على وشك الغرق . إنه يموت معها . يغرق معها . إنه حب حقيقى ..

.. ولهذا لاتوجدشكوك مع الحب الحقيقى . توجد الغيرة فقط .. الشك معناه أنك لاتحب حباً حقيقياً . الشك والحب الحقيقى لايجتمعان . فقط تغير الى حد القلق الشديد . إنها الغيرة على الحب لأن الحب هو أثمن مالديك فى الوجود . وإذا أحاطت بك ظروف ضارية تدفعك دفعاً الى الشك حتى الجنون فإنه يظل داخلك جزء يرفض .. مستحيل .. جزء يؤكد طهارة وبراءة من تحب .. جزء من داخلك يدافع ويناضل حتى الموت .. وفي النهاية ينتصر هذا الجزء وتعلو راية النقاء فوق هامة الحب الحقيقى الذى يظلكما .. ولهذا لاينهزم الحب الحقيقى أبداً أمام الشيطان وذلك لسبب بسيط جداً وهو أنك تعرف حقيقة أمره .. أنت الوحيد الذى تعرف خبايا نفسه . أنت الوحيد الذى تعرف ماوراء سلوكه الظاهر . أنت العين التى أستطاعت أن تصل الى أعمق عمق .. فأنت الوحيد القادر على معرفة درجة نقائه وطهارته .

ولهذا من المستحيل أن توجد خيانة مع الحب الحقيقى وإن أكدت كل الظواهر والشواهد على عكس ذلك . ولهذا فهناك وفاء .. خلود .. لا نهائية .. استمراوية حتى الموت رغم التوتر والعذاب والقلق والحيرة ..

رغم الغيرة . ولكن لحظة سعادة في ظل الالتصاق بروح الحبيب تعادل كل الشقاء . إنه الإشباع الروحى الذى لا يعادله إشباع ولا يستطيع أى شيء آخر أن يقدمه .

□ □ □

.. إن الحب الحقيقى يمثل قمة السعادة .. أقصى متعة روحية . وأيضاً تتحقق من خلاله أقصى متعة جنسية . إنه القمة قمة القمم .. أى شيء آخر في الوجود يبدو تافهاً باهتاً محدوداً ضئيلاً ..

.. والمحبون يدركون ذلك بغريزتهم وفطرتهم وحدسهم المباشر وحدسهم الداخلى . ولهذا فالحبيب يرعى حبيبه ويحافظ عليه ويعطيه ويتفانى ويضحى من أجله ويتحمل كل مسئولياته ..

.. إن الخير الحقيقى على هذه الأرض مصدره الوحيد هو الحب .

الفصل الثامن

الحب اختيار

.. فى فعل العطاء يتجلى أحد سمات الحب الحقيقى بل أهم سماته وهو التأكيد على حرية الانسان واستقلالية الطرف الآخر . أنا وانت فى علاقة الحب الحقيقى ذاتان متفردتان مستقلتان حرتان . فأنا أعطى بمطلق حريتى . أعطى لأنى حر .. أعطى بارادتى .. أعطى لاننى أخترت أن أعطى .. أن أعطى لشخص معين بالذات .. شخص أنا إخترته من ضمن الملايين .. وحين قررت أن أعطيه ولا أنتظر مقابلاً فهذا معناه إعتراف بكامل حريته . باستقلاليته . بإرادته .. عدم إنتظارى رداً لعطائى هو قمة إعتراف باستقلالية هذا الانسان الذى أحببته .. أنا أراه كذات مستقلة .. كوعى حر . كإرادة مطلقة . ككيان . كوجود . كقوة . ولذلك فانا لا أفكر فى أن أمتلكه ولاأريد أن أستحوذ عليه أو أسيطر أو أهيمن على حياته . بل يسعدنى أن يكون هكذا حراً . ولذا فأنا لا أستخدم قوتى ولانفوذى أو مالدى من قدرات للسيطرة . هناك آخرون فى حياتى أستطيع أن أسيطر عليهم أو ينبغى فى بعض الأحيان أن أسيطر عليهم إلا هذا الانسان الذى أحببته . فلا سيطرة فى الحب . لاقهر ولا استغلال ولا استعباد . بل حرية . إرادة .. إستقلال . إيمان ...

.. وجمال الآخر وكماله وتألقه لايكون إلا وهو يتمتع بكامل حريته . ولهذا فإن هذا المحبوب حين يقبل نحوى .. حين يختارنى .. حين يعشقنى وهو فى كامل حريته ووعيه وبكامل إرادته فهذا معناه أننى أنا الأوحد

الأسمى والأعلى والأكمل وليس الأجمل فهو لم يختارنى لجمالى أو لقوتى . وهو حين إختارنى لم يقارن بينى وبين غيرى . لم يختارنى لأننى الأفضل . لا مقارنة ولانسبيه ولا انتقاء . وإنما حقيقة كلية شاملة جامعة .

.. إن أعظم ما يحصل عليه المحبوب من محبه هو حريته . ولذلك فهو ليس فى حاجة إلى السيطرة عليه ..إن الرغبة فى السيطرة هى خوف .. ومعناها أنه لايثق بحبه لمحبوبه . ولايثق بحب محبوبه له .. السيطرة هى الخوف من أن يفلت حبيبه من بين يديه وهذا إعتراف بعدم أهليته هو شخصياً للحب . فى الحب الحقيقى لا يحتاج الانسان لهذه السيطرة لان الحبيب يقبل على حبيبه بمحض إرادته . يأتى له ويسلمه حريته .. ويقول له أنا معك لاننى بك .. وحين أكون معك فأنا موجود .. إن وجودى مرتبط بوجودك . وأنت لست فى حاجة إلى السيطرة على لأنى لا أستطيع أن أمضى بعيداً عنك . فأنا جئتك حين لم تأمرنى .. ولا أستطيع أن أمضى بعيداً عنك ليس بفعل مجالك المغناطيسى ولكن بفعل قوة أخرى هى قوة الحرية إذ أستطيع أن أتحرك فى مجالك بكامل حريتى . أستطيع أن أروح وأجىء وإذا بى أجد نفسى أجىء .. أقترب وأقترب ... لا تحملنى قدماى ولكن تحملنى روحى .. تدفع بى ذاتى .. ينقلنى وعى اليك وعى الحر . إذن وأنا مقيد بك أتمتع بكامل حريتى . أشعر أن حريتى هى التى تجرنى وتشدنى إليك . ليس حباً أن أشعر أن لك مجالاً مغناطيسياً يشدنى كقطعة حديد صماء مسلوبة الارادة . وإنما الحب هو أن أشعر أن ليس لك نفوذ أوسيطرة أو مجال جذب ورغم ذلك أجدنى مشدوداً مدفوعاً . أعظم شىء أن تكون قوة الجذب والدفع نابعة من داخلى .. صميم إختيارى .. إختيارى الحر المطلق ..

.. إذن لماذا الغيرة ؟ ! ما الذى يخشاه الانسان فى علاقة الحب الحقيقية .. ؟ مم يخاف .. ؟

.. إنه يخاف أن يفقد هذا الحب . أن يفقد هذه الروح التى أقبلت عليه بمحض إرادتها ، وحريتها . فى الحب أنت لا تشعر أنك إمتلكت شخصا أو كيانا أو جسداً وإنما تم إختيارك من قبل حرية . من قبل روح سامية وأن هذه الحرية وهذه الروح أعطتك أسمى ما فى الوجود .. أعطتك نفسها .. أى أسلمت حريتها وذاتها .. أنها أحبتك .. أحبتك كحقيقة شاملة متكاملة سامية وأن ذلك جعلك تشعر بإن لوجودك فى الحياة مبرراً .. ولهذا ففى فقدك لهذا الحب انتفاء لمعنى وجودك . ضياع . نهاية . نهاية لكل معنى فى الحياة .

□ □ □

.. إذن كل طرف فى علاقة الحب الحقيقى يتمتع بحريته وتفرده وإستقلاليته وإرادته . ومن خلال ذلك يقتربان . وتتملكهما رغبة فى الامتزاج والتوحد وليس رغبة فى التملك والسيطرة ليس رغبة فى إذابة الطرف الآخر فى داخله يمحوه . إن الطرف الآخر إذا ذاب وإنمحى لم يصبح له وجود . الحب يعتمد على الثنائية والتبادل وليس البلع والاستيعاب والالغاء والذوبان . فى قمة الالتصاق والتوحد والامتزاج يشعر كل منهما بقمة الحرية وإرادته وتفرده واستقلاليته . فى قمة الالتصاق وقد إمتزجت الأنفاس وأغلقت الأجفان فإن كل منهما يرى الآخر رؤية واضحة ويدركه ككيان متكامل متماسك وبذلك يستطيع أن يحبه وأن يسبغ عليه وأن يعطيه ويحترمه ويرعاه ويكون مسئولا عنه .

.. ولذلك فالالتصاق تأكيد للحرية وتعميق للارادة وتثبيت للاستقلالية وتوكيد للتفرد والتميز .

[إذن أنا أحب معناها أنا حر .. وأنا حر معناها أنا قادر على الحب ومؤهل له .

.. ولذلك لاعنف ولا إنتقام فى الحب الحقيقى حتى وإن قسى أحد الطرفين أو إبتعد أو تسبب فى ضرر غير مقصود . الحب الحقيقى لا يعرف إلا الرحمة والحنان . والمحب يفهم سلوك محبوبه ويقدر ظروفه ويرجع أى إساءة منه إلى دوافعها النفسية العميقة التى الا تنطوى أبداً على سوء ظن أو قسوة حقيقية أو حقد أو شك فى اخلاص .. ولايفهم المحبوب إلاحبيبه . ولذلك لا يوجد مايسمى بالمغفرة فى الحب فالمغفرة لاتكون إلا لمن أساء إساءة حقيقية . ولاإساءة حقيقية فى الحب الحقيقى .

.. المحب يفهم محبوبه مثلما يفهم نفسه . ولانه يدرك بوضوح دوافع الخير فى نفسه فإنه يدرك وبنفس الوضوح دوافع الخير فى نفس محبوبه .. الأخيار يختارون الأخيار وليس الأشرار . إنها النفوس الطيبة القادرة على الحب .

النفسى الطيبة تختار نفساً طيبة مثلها .. ولهذا لاشك ولاسوء نية ولاسلوك قصد ولاسوء متعمد .. وإنما تلقائية وبراءة .. ولهذا فهناك فهم وتقدير وإحترام وحنان ومن ثم مودة ورحمة .

.. ولذلك فبالرغم من أن المحب يشعر أن محبوبه مختلف عنه إلا أنه يشعر أنه يشبهه . أو أن يمثل جوانب فى نفسه حبيسة . أو أن يجسد معانى يحبها فى الانسان والانسانية .

فلانسان بفطرته يفزع من الشر ويكرهه . يفزع من الخيانة والنصب والاحتيال والكذب والنفاق والرياء والبغضاء والكراهية والحسد والحقد والغرور والأنانية والنرجسية .

والانسان أيضاً بفطرته السمحة يحب الطيبة والتواضع والاقدام والالتزام والكرم والمودة والتسامح والرقة والعذوبة والشاعرية والرومانسية يحب الجدية والاخلاص وقوة الايمان والشجاعة والشرف .

ولهذا يلتقى المحبون حول هذه السمات . ويلتقى المبغضون على الصفات المغايرة . فالأخيار . يلتقون مع الأخيار ويحبون حباً حقيقياً . أما الأشرار فيلتقون مع الأشرار ويحبون حباً زائفاً قائماً على التملك والشهوة والشك والسيطرة والعنف والانتقام إذا إقتضى الأمر .

□ □ □

.. ونحن حين نقول أن الانسان يحب إنسانا مختلفاً عنه مغايراً له فإن الاختلاف والتغاير يعنيان ،. تفرد الشخص تفرده بذكائه وطموحه وإهتماماته وفلسفته فى الحياة وأسلوبه . ولكن يبقى أن الصفات الأساسيةللانسان ثابتة .. القيم الانسانية العليا السامية . هذه القيم غير قابلة للتغير ولا يمكن أن يلتقى اثنان فى علاقة حب حقيقى وبينهما إختلاف وتغاير حول هذه القيم الانسانية السامية الثابتة . الاختلاف بمعنى أن لكل منهما شخصية متميزة . شخصية ديناميكية تسعى وتتحرك بحرية وإرادة ووعى فى الحياة وتسعى لتطوير نفسها والتأثير على عالمها والتأثر به . شخصية ناضجة متفتحة خيرة سامية وبذلك تكون مؤهلة للحب . الحب هبة إلهية . سر قدسى . نور إلهى .

.. وإذا كان هناك تطابق فى الشخصية فإن الحب يصبح صعباً . لأن الحب حركة ونمو وتطوير وإبداع . ولهذا فلابد أن يكون لكل منهما شخصيته المختلفة المتميزة . ولهذا فالتقاء المتغيران يحدث التفاعل الحى . التفاعل المبدع الذى يضيف للحياة لوناً وطعماً وبهجة وثراء .

الحب الحقيقى ليس سكوناً وليس إنغلاقاً . الحب الحقيقى كالنهر الحى المتدفق الثرى . أو كالبحر العميق الثرى بالحياة وباللآلى بداخله حياة وكنوز وأسرار .

..الحب الحقيقى ينطوى بداخله على قدس الأقداس وسر الأسرار وكنز الكنوز ويفيض خارجه بالحياة والنماء .

.. إذن التماثل بين الحبيبين ليس فى الشخصية وإنما فيما تنطوى عليه نفس كل منهما من حب للخير والتمسك بالقيم الانسانية السامية .

والتغاير بين الحبيبين إنما هو فى الشخصية . أى التنوع البشرى الذى يتيح التفاعل الحر التلقائى السخى .

..ولذلك فالحب هو أهم حدث فى حياة الانسان ، ولا نتجاوز فى القول أن أهم ثلاثة أحداث أو تواريخ فى حياة الانسان هى يوم مولده ، ويوم موته ، واليوم الذى يلتقى فيه بنصفه الآخر بحبيبه .. يوم تكتب له شهادة ميلاده المعنوى . يوم أن يجد مبرراً لوجوده .. يوم أن يجد معنى لهذه الحياة التى نحياها . قبل أن يحب كانت الحياة فاترة مائعة باهتة وبعد أن أحب أصبحت تفيض سحراً يخلب العقل . أصبحت باعثة على النشوى أصبحت تهز الوجدان . أصبحت الحياة ، حياة .

..إذن الوعيان فى ا لحب مستقلان . إنهما ليسا بأى حال واحداً ولا يعتبر أى واحد منهما إستمرارية للآخر . إن الطرف الآخر سيصبح دوما شخصا مستقلا وليس إمتداداً لك ، وهو أيضاً مختلف عنك ، ووجوده يؤكد نفسه ككائن مختلف عنك تماما . إن الانسان الناضج الذى يتمتع بالصدق مع الذات يتعايش ويرحب باستقلالية الوعى الآخر . يستطيع أن يتقبل هذا . بل أكثر من ذلك أن إستقلالية الطرف الآخر تعطيه قوة .

.. إن الشخص الضعيف الذى لايتمتع بنضج كاف هو ذلك الشخص غير المستعد للحب لانه سينهار تحت ضغط إستقلالية الطرف الآخر .

..إنك تستمد وجودك من إستقلالية الوعى الآخر لان هذا الوعى إنعكاس لجوهر ذاتك . ولذلك فأنت حقيقة قائمة منعكسه على وعى آخر حقيقى ومستقل . ولذك فأنت لاتشعر بالوحدة . إنها عملية خلق متبادل . ولا يقوى على الخلق إلا الناضج المستقل الحر .

الحب الحقيقى هو خلق لذاتك ولذات الآخر .

□ □ □

..ولذلك يقول المحب لمحبوبه : أنا لا أتواجد بدونك وأنت لا تتواجد بدونى .

الفصل التاسع

الغزو والخضوع

.. من أبرز سمات الحب الحقيقى الصدق . إنها أصدق علاقة . وطرفاها الرجل والمرأة من أصدق الناس . يصدق الانسان مع نفسه ويصدق مع حبيبه . فى هذه العلاقة السامية يكون الانسان نفسه .. ذاته .. يكون هو على حقيقته .. بلا قناع .

..وهو يشعر أنه محبوب لما هو عليه . بدون رتوش بدون ذواق . هو وحده يكفى فهو الجمال الحقيقى وهو القمة وتلك أحد جوانب السعادة الحقيقية فى الحب .

ولهذا فالانسان يسلم نفسه . يسلم حريته . يخضع بارادته بلا تحفظ . يعطى نفسه بالكامل . يخضع بلا شعور بالهزيمة . بلا اجبار . وتلك هى الحرية الحقيقية فى أعظم صورها وهى أن يخضع الانسان بإرادته طوعاً ليس خضوع المهزوم . ولكنه خضوع القوى الشجاع المؤمن .. المؤمن بالحب .. المؤمن بنفسه . المؤمن بالطرف الآخر .

.. وطالما أن هناك طرفاً يخضع فمعنى هذا أن الطرف الآخر يتم الخضوع له . أى يكون الطرف الغازى . طرف يغزو وطرف يخضع . طرف يسلم حريته وطرف يحتوى هذه الحرية ويكون مسئولا عنها . وهى مسئولية ضخمة مسئولية رهيبة . مسئولية تحتاج إلى نضج وتوازن نفسى وقوة وإيمان وشجاعة . فهذا هو انسان قد جاء تطوعاً وخضع له وسلم

له حريته . فأصبح هو حينئذ مسئولا عن هذه الحرية . مسئولا عن تسليم إنسان له . إحتواء هذه الحرية يحتاج إلى شجاعة وإقتدار . فهو ليس غازياًمنتصراً والآخر خاصعاً مهزوماً . بل الآخر الخاضع شجاع وقوى ومؤمن لأنه محب وعاشق . وأن الأمر يتطلب من الطرف الغازى أن يكون أكثر قوة وأكثر شجاعة وأعمق إيمانا حتى لايرى الأمر من منظور الانتصار والهزيمة . فالطرف الآخر لم يخضع له بسبب قدرته الغازية أو بسبب ميزاته الشخصية . إنه قد خضع له وإستسلم له وأعطى له كل شيء لإنه أحبه . أحبه كله . أحبه كما هو . أحبه بعيوبه ونقائصه ونقاط ضعفه . ولكنه رأى نوره الداخلى . رأى تساميه وشجاعته وقوة إيمانه . أدرك مثاليته الكامنة فى أعماق نفسه والمتاحة فى الزمان المستقبل . أحبه رغم إختلاف الناس عليه . وحين أحبه سلم له حريته لانه وثق به . ولايمكن أن يثق به إلا إذا أحس أنه إنسان صادق . إنها لحظة حاسمة أو منعطف هام فى بداية علاقة الحب . لحظة الصدق أو منعطف الصدق . أحبك فاثق بك لانك لو لم تكن صادقاً لما أحببتك . ولانى أحببتك فأنت صادق ولهذا أثق بك . ولذا فأنت أهل لأن أخضع لك ولان أسلم لك حريتى لتكون مسؤلا .

□ □ □

.. وهى متعة كبرى . متعة التسليم . إنها من أروع أحاسيس الحب . إنه الاخلاص كله والانتماء كله . ذلك هو جوهر الاخلاص أو ذلك هو فعل الاخلاص . ذلك الفعل غير المتعمد . ولايمكن أن يكون هناك غير الاخلاص . وكيف لايخلص الانسان وقد إختار تطوعاً وبإرادته أن يسلم حريته لانسان آخر وأن يخضع له . إنه هو وحده الذى يستحق . ليس

من قبله وليس من بعده . ولا شبيه له ولا مثيل له . إنه هو الأعلى والأسمى والأكمل والأصدق والأجمل . إنه الوحيد الذى أثق به فى هذا العالم كله إنه الصدق ذاته . وجوهر علاقتنا الصدق . ولذا فأنا بدون تحفظ أستسلم له ، وأخضع له . وهو قادر على إحتواء هذا الخضوع الكامل .. وهذه هى روعته .. روعته فى أنه إستطاع أن يحتوى حريتى وأن يشعرنى فى الوقت ذاته بقمة إستقلاليتى . بقمة حريتى . بقمة شعورى بذاتى ووجودى . بحيث أستطيع أن أقول أن خضوعى له جعلنى أتيقن من حريتى الكاملة ومن إرادتى التامة . أتيقن من أن وجودى له معنى ومبرر . وأن لى ذاتاً حقيقية . إننى إنسان حقيقى وهذا ميلاد جديد لى وبداية حقيقية لعمرى .

□ □ □

.. والغزو والخضوع لايمكن أن يحدثا على أى مستوى آخر من العلاقات الانسانية . يحدث هذا فقط فى الحب الحقيقى . أى لابد أن يكون حقيقيا لانه فى الحب الزائف يسعى الانسان للامتلاك والسيطرة والقهر .

فى الحب الزائف هناك صراع وأنانية .

أما الحب الحقيقى فهو تسليم وأمان وسلام وثقة لأن هناك صدقاً .

.. وظاهرة الغزو والخضوع قد تبدو غير ديمقراطية ولايمكن أن تحقق معانى الاستقلالية والتفرد والتميز والوعى الكامل والارادة المطلقة كيف يكون الانسان حراً وفى نفس الوقت خاضعاً ؟ !

ذلك هو الأمر الغريب المحير فى الحب . ذلك هو سر الحب . وتلك هى القدسية . وهذا هو مصدر السعادة القصوى والمتعة الروحية التى هى بلا حدود . وذلك هو الشعور بالأمانة والطمأنينة .

فالانسان لايسلم نفسه إلا لمن يثق به . ولايثق إلا لمن يكون صادقاً . وهو حين يسلم نفسه يعلم تماماً أنه يقدم نفسه هدية لمن يستحق . وهى هدية غالية جداً . وهو يعلم إنه حين يقدم هذه الهدية فإن الطرف الآخر سوف يقدرها حق قدرها . بل سوف يفصح أنه لا يستحق هذه الهدية العظيمة ، وأنه ليس أهلا لها . هنا فقط يشعر من قدم الهدية أنه قدمها فعلا لمن يستحق هذا الذى يستحقها سوف يشعر بالوجل والخوف من تلك المسئولية العظيمة . ولكن لأنه هو الآخر عاشق ومحب فإنه سوف يتقدم بشجاعة . سوف يحمل هذه الشمس العظيمة فى يمينه . سيعلن أنه سيكون مسئولا .سيقول لمن خضع له : إنك مادمت قد سلمت لى نفسك وحريتك فسوف أكون مسئولاً عنك . سوف أرعاك وأحميك . إننى أحترمك وأؤمن بك . سوف أعطيك أنا الآخر ذاتى وكل حياتى . سوف أهبك نفسى . فإذا الذى يعطى سيأخذ أكثر مما أعطى . وإذا الذى يسلم يمتلك . وإذا الذى خضع يشعر أنه عظيم فى خضوعه رفيع فى إستسلامه . كيف إذن يرتفع من يخضع ؟ كيف إذن يمتلك من يستسلم ؟ كيف إذن يتحرر من يهب حريته ؟ كيف اذن ينفرد ويستقل من يحاول جهده أن يذوب وأن يتوحد ؟ هذا هو الحب .. هذا هو سر الأسرار . هذا هو المعنى العميق الغريب . هذا هو التسامى والقدسية .

.. ومن الذى يخضع ومن الذى يغزو ؟ المرأة أم الرجل ؟ وهذا أيضا من أسرار الحب . أنت قد لا تعرف من الذى يخضع ومن الذى يغزو . وبهذه الصورة العجيبة يكون الانسان غازياً وخاضعاً فى نفس الوقت . لافرق هنا بين الرجل والمرأة . ليس هناك الزام أن يلعب الرجل دور الغازى وأن تلعب المرأة دور الخاضعة .

لو أننا فهمنا معنى الغزو والخضوع فى الحب لعرفنا أن هذه ليست أدواراً مرتبطة بنوعية الجنس . إنها أدوار تلقائية مرتبطة بإنطلاق الشرارة الأولى ومرتبطة ببعض خصائص الشخصية . إلا أن المرأة مع بداية العلاقة تأخذ دوراً معيناًيمكن أن نطلق عليه دور الأنثى أو سلوك الانثى وهو نابع من تكوينها وصياغتها كأنثى . أى هكذا تكون الأنثى . أو هذا دورها فى عملية الحب . وبالتالى يكون هناك دور للرجل . ولايوجد هناك تحديد قاطع وحاسم يفصل بين دور الرجل ودور المرأة ولكن هكذا يكون المسار الطبيعى والتقليدى لكل منهما والذى ينسجم مع التكوين الداخلى لكل منهما .

وهنا يلعب الخيال دوره . الخيال مع الواقع فى إمتزاج جميل لا يحدث إلا فى ا لحب . ولابد من قدر من الخيال فى الحب . إنها علاقة رومانسية تعتمد فى جزء منها على الوهم الجميل .. على الحلم .. الحلم الذى يريد الانسان أن يحققه على أرض الواقع الصلبة .

.. وليس مستغرباً أن تكون المرأة فى البداية هى الغازية والرجل هو الخاضع . مثلما نجد فى أحوال أخرى أن يكون الرجل هو الغازى والمرأة هى الخاضعة .

إذن ليس هناك حتمية لدور معين يختص به الرجل أو المرأة .
كما أن الأمر ليس بسيطا كما يبدو وخاصة إذا عرفنا أنه فى عملية الحب الحقيقى لايوجد إغراء أو محاولات إجتهادية من طرف لشد انتباه الطرف الآخر

كما أن الانجذاب لايحدث لوجود مزايا ولكنه شعور داهم شامل يحرك الانسان ويدفعه دفعاًنحو الانسان الآخر وكأنه ظل يبحث عنه سنوات عمره الذى مضى حتى وجده فجأة أمامه . إنه النور المباغت فى وسط ظلمة حالكة يبعث على الدهشة ويذهب بالعقل فى لحظات أشبه بالذهول .

إذن لاتعمد .. لاخطط .. لا محاولات إغراء لا إجتهاد فى إظهار مزايا وإخفاء عيوب ..

إنه شعور يقينى صادق بأن هذا الانسان خلق لى وأنا خلقت له .
ولهذا يتحرك أحدهما نحو الآخر أو يتحرك كلاهما معاً كل منهما نحو الآخر . وكما قلنا فإن مايحدد الدور الغازى هو من إندلعت لديه الشرارة الأولى والتى قد تسبق الشرارة التى إندلعت لدى الطرف الآخر بجزء من الثانية .

والأمر أيضا يعتمد على خصائص شخصية كل منهما . ولكن مما لاشك فيه أن مسار العلاقة بعد ذلك يحتاج إلى دور أنثوى ودور ذكرى . إنه التكوين الطبيعى الربانى . إنه ناموس الحياة وقانونها الثابت والذى تخضع له كل الكائنات .

.. المرأة عموماً تريد أن تسلم نفسها طواعية وكلية للرجل الذى تحبه . الرجل الذى حين رأته إندلعت فى كل كيانها شرارة الاحساس الأولى . تيقنت أنه رجل الرجال .. الرجل الأوحد .. الرجل المكمل لها .. ليس من قبله ولا من بعده .. الصادق الذى أثق به فأخضع له . أسلمه حريتى .. أهبه نفسى .. أهبه حياتى .. وما أعظمها من هدية ، وما أثمنها من هدية .

..كيف يحصل رجل على هذه الهدية العظيمة ؟ !
كيف يحصل رجل على حب امرأة .. ؟ !
ماذا يفعل ؟ !
ماذا يقدم ؟ !
ماذا يمتلك من مواهب وإمكانيات ؟ !
أى جهد يبذل ؟
أى خطة يرصدها .. ؟

لاشىء .. لاشىء على الاطلاق . بل أنه لو أنفق كل مال الأرض لما إستطاع أن يحصل على حب إمرأة فقيرة بسيطة ترعى الأغنام . إن حب المرأة شىء غال وثمين . شىء لايقدر بمال الأرض جميعه . شىء لاتستطيع أن تحصل عليه حتى ولوكنت تملك كل مزايا الرجال مجتمعة .

.. المرأة تعطى بإرادتها . بحريتها .. باختيارها المحض .. يستطيع الرجل أن يغتصب إمرأة ولكنه لن يحصل على روحها .. قلبها .. عواطفها .. وجدانها .. مشاعرها .. عقلها .. كلها .. فى الاغتصاب يحصل الرجل على جسد ميت .

.. إن أى رجل زكى كفء يستطيع أن يكون ثرياً مشهوراً عظيماً ناجحاً فى مجالات متعددة ولكنه لايستطيع أن يحصل على روح إمرأة بإرادته وحدها إن روح المرأة الهدية التى لايستطيع منحها إلا المرأة ذاتها .

.. والمرأة لا تعطى هديتها الغالية أى نفسها إلا لمن يستحقها عن جدارة . وهى لاتبغى شيئا مقابل هديتها . إنها تعطى نفسها بسخاء وكرم وطيب خاطر . إنها تغزوه بهديتها . تغزوه من أجل أن تخضع له .. تقتحمه لتستسلم . .

إنه فعل فريد . تجربة فريدة غير قابلة للوصف ، إنها بهذه الهدية ، إنها بهذه الوحدة تبعث نبض الحياة فى الرجل ، إن الجثمان الميت تُبعث فيه الحياة ، بفعل هذا الحب الذى تمنحه إمرأة . وهى منحة ذات قيمة لانهائية ، وما هو أغلى من الذات الانسانية . ماهو أغلى من الوعى الداخلى لانسان ماهو أغلى من جوهر الانسان . إن مركز الوعى يجعل من نفسه هدية للطرف الآخر . إنه يقوم بمنتهى التضحية وذلك لأنه يعطى الشىء الأكثر قيمة فى الكون . وهو تصرف نابع من الحرية الخالصة . لا يوجد أى سبب أو إحتياج يجعل المرأة تمنح هذه الهدية إلا أنها أحبت

والمرأة تفعل ذلك بإصرار داخلى . وهى لاتتوقع أى شىء فى المقابل ولاتلقى بشروطها على الطرف الآخر : أنا لاأريد منك شيئا . وليس عندى شروط فقط أنا أحبك . فقط أنا أمنحك ذاتى . فلتتقبل هديتى ولاتفعل شيئاً .. لاتتحرك .. لاتنشغل بشىء .

لكن كن أنت . كن فى موقعك .. وسأنتظر عشرين سنة حتى تقول لى أحبك . قد يكون هذا هو منتهى أملى . يكفى أنك موجود . يكفى

أننى أستطيع أن أراك . فقط كل ما أتمناه أن تتقبل هديتى . أن تقبل ذاتى أن تمسك بيدك حريتى . تصرف بتلقائية خالصة .. أنت بهذا ياحبيبى تخلق شيئاً من لاشيء .. تخلق حباً . إننا الآن إثنان بدلاً من واحد .

□ □ □

.. يشعر الرجل بالخوف .. بالقلق .. بالرهبة .. إن المسؤلية كبيرة .

إن المرأة الغازية الخاضعة تحمله فوق طاقته . ترى فيه ما لا يراه هو في نفسه . تراه كاملاً ويرى نفسه ناقصاً . تراه جميلاً وهو لا يرى نفسه كذلك . تراه عظيماً ويرى نفسه عادياً . تحمله مسئولية حرية إنسان وهو غير قادر على تحمل هذه المسئولية .

.. ولكنها حين تمنحه نفسها فإنها تمنحه وعيها الداخلى فإذا به يرى نفسه بوضوح على مرآة هذه الذات العاشقة . يرى نفسه لأول مرة . فإذا كل ما حققه في الحياة يتضاءل أمام هذا الإنجاز العظيم وهو أنه حظى بحب إمرأة .. إنجاز لم يبذل جهداً من أجل الوصول إليه . حظى بتسليمها وخضوعها وإمتلاكه لارادتها وحريتها . يشعر بأنه يعاد خلقه من جديد كمخلوق متكامل . يشعر أنه أمام تجربة عظيمة . ميلاد جديد . حياة جديدة . معانى جديدة . أول تجربة للتلاحم الإنسانى .. الاكتمال .

.. المرأة هنا إختارت أن تعطى والرجل تلقى الهدية . هنا تكمن أسباب وفاعلية وأهمية الغزو والتسليم .

الغزو يعنى أن الواحد أصبح أثنين دون أن يفقد الفرد فرديته . وبالمثل فإن التسليم يعنى أن الواحد قد أصبح أثنين دون التلاشى . إن المرأة لا تتلاشى أو تتبخر أو تنصهرحين تسلم بل على العكس فهى تحتفظ

بالتكامل . والرجل لايحطم المرأة حين يغزوهاوحين يتقبل حريتها . بل هو يراها كذات فريدة متميزه متكاملة غاية فى الروعة رائعة الحسن مثيرة لكل خيال وجمال جديرة بالاحترام والتقدير . إنها تعيد خلقه وهو يعيد خلقها .

إن إمكانية الانصهارفى عناق شديد مع الابقاء على الفردية فى نفس الوقت هو جوهر الوجود كله .

.. تقول المرأة للرجل وهى تقدم هديتها : لقد إستعطت الوصول الى أعمق أعماق ذاتى دون أن تبذل مجهوداً . إستطعت أن تلمس جوهر وعيى . إننى أشعر أننى تحت سيطرتك تماماً .

.. هنا يشعر الرجل بأنه أمام حدث هام فى حياته .حدث يهزه هزاً . ضوء ساطع كاشف يتسلط على داخله فيضيئه ويبهره . إنه يرى ذاته من خلال هذه المرأة العاشقة . لقد كان هو مرآتها وهى الآن مرآته .

.. يشعر الرجل بسعادة فائقة . ليس زهواً وليس غروراً . وليست سعادة الانسان العادى حين يخضع له إنسان آخر . فهذا ليس خضوع الذل والانكسار أمام قوة غاشمة . إنه خضوع ارادى لايقدره إلا الانسان الناضج المتكامل السوى نفسياً . حين يشعر الرجل بهذه السعادة الطاغية وحين يرى ذاته على مرآة وعى هذه المرأة فأنه يكون قد وقع فى حبها .. فيقترب ويدنو .يهب ويمنح . يعطى ويسخو . يقدم ذاته .. أى يغزو .. يغزو دون أن يطلب خضوعاً . فتخضع المرأة .. تستسلم .. تسلم .

.. وإذا أمعنا النظر وأقتربنا أكثر وأكثر وأرهفنا السمع الى خلجات نفس المرأة لاكتشفنا أن التسليم هو أكثر التعبيرات رقة فى وصف الأنوثة .

التسليم يتيح للرجل أن يشعر برجولته . بهذا يحدث الاتحاد بين الذكر والأنثى .. سر الوجود .. سر الخلق .. سر الابداع .

فالانوثه لاتتحقق إلا من خلال رجل أو بالأحرى من خلال حب رجل .

هنا فقط تتحقق المرأة من أنوثتها ولهذا فإنها باندفاع واع ولهفة مطمئنة وتسرع واثق تضع نفسهاتحت إمرة هذا الرجل وتهبه كل شيء بدون تحفظ وتدافع عن علاقتها به حتى الموت .. تتحدى .. تناضل .. تتنازل عن أى شيء .. المهم ألايضيع منها .

.. هذا الرجل الذى أحبته ووثقت به وتوسمت فيه الصدق ، وحقق لها إحساسها المتكامل المتعاظم بأنوثتها ، وتكون فى قمة سعادتها بل فى أعلى قمَة فى الوجود حين يحبها .

هذا الرجل الذى أحبته . هى أختارته . هى أقبلت عليه. هى عزته . هو إستسلم لها . هو أحبها . هى خضعت له . هى على أستعداد أن تعطيه كل شيء . هى أسعد إمرأة فى العالم لأن الرجل الذى أحبته أحبها . تشعر بالاكتمال والامتلاء والاشباع . هى الآن أمسكت نجوم السماء بأيديها .. ولايهمها أحداً إلاهو .

هو كل الناس مجتمعين . هو فوق الجميع وقبل الجميع . هو فقط الذى تتزين من أجله . لاتقلق بشأن شكلها ومظهرها إلاحين تكون معه . لاتشتاق لأحد إلاله .

إن كل شيء يكتسب معنى به ومن خلاله ومن أجله . ماضيها كان استعداداً للقائه . وحاضرها مسخر له . ومستقبلها مدخرله . إنها إمرأة به وأنثى من خلاله .

ويتملكها شعور يقينى أنه لايستطيع أن يعيش بدونها . إنها أصبحت كل شىء بالنسبة له . إنها تسرى فى دمائه . ولهذا تتفانى فى إرضائه . فى خدمته . فى الاستجابة لكل طلباته . ويسعدها ويلذ لها أن تدعم عنده دور الغازى . وأن تؤدى هى دور الخاضعة المستجيبة لكل طلباته السعيدة بتعبها وتضحياتها وكدها من أجله .

.. أن الحب هو كل حياة المرأة ، ولهذا فإن أى شىء تقدمه لايعتبر شيئاً فى نظرهافى سبيل أن تنعم بلحظة وصال مع حبيبها .

إنها على إستعداد أن تفعل أى شىء وأن تبذل أى شىء

إنها تسعد بحبها هى له . سعادتهافى حبها .

أما الرجل فيسعد بحب المرأة له . وهى تريده لذاته . ليكون موجوداً . وأن تبذل له أى شىء .

هذا هو الفرق بين المرأة والرجل . ولذا فهى الغازية الخاضعة منذ البداية . ثم تستمر خاضعة لتتيح للرجل أن ينعم بحبها وخضوعها وإستسلامها وتنشط هذا الجزء الذكرى الغازى فيه . ثم تتيح له بعد ذلك نعيما أن يخضع ويسلم حين يهيم بها حباًوشغفاً فتنعم هى بحبه .

.. ولذلك وبشكل عام فإن الرجل فى مسار العلاقة يؤدى معظم الوقت دور الغازى والمرأة تؤدى معظم الوقت دور الخاضع المستسلم حتى كادت أن تصبح هذه هى السمة العامة لدور الذكر ولدور الأنثى .

.. ولاشىء يحقق رجولة الرجل إلا إمراة .

حتى أشهر القادة العسكريون الغازون فى التاريخ وأكثرهم نجاحاً وإنتصاراً وقوة فانه حين يخلو الواحد منهم الى نفسه لايجد إلا المرأة التى

يحبها وتحبه لتؤكد له قدراته الحقيقية . قدراته الانسانية . قدراته كقوة روحية قادرة على بعث الثقة والطمأنينة فى نفس إمرأة عن طريق صدقه .

هذه هى القوة الحقيقية . هذه هى الشجاعة الحقة . هذا هو الايمان العميق . هذه هي الرجولة .

الفصل العاشر

قلق الحب

.. رغم الهناء والاستقرار . رغم الامان والطمأنينة والسلام .

رغم الامساك بنجوم السماء والاطلاع على سر الكون .

رغم العثور على كنز الكنوز والاحساس بالغنى والشبع والامتلاء والكمال .

رغم كل هذا إلا إن الحب لايخلو من قلق وخوف وحزن والم يصل أحياناً الى حد العذاب والجحيم .

بالرغم من الاحساس بالاستقرار والابدية إلا أنه يظل هناك قلق غامض .. حزن خافت .. خوف مبهم .. أرضية من الألم تبرز عليها سعادة لاتتحقق بحق إلا إذاكان الحبيب قريباً ملء العين الى حد الالتصاق . هنا فقط ينغمرالحبيبان فى نشوة التوحد والذوبان .. ويمعنان فى الاقتراب والالتصاق لمواجهة هذا القلق وتلك الوحشة . فالعذاب يكون حقيقياً ومكثفاً والالم يكون مركزاً فى الابتعاد . هنا تتعاظم المخاوف ويتضخم القلق وتعمق الاحزان .

.. يقترب الحبيبان ويبعدان .

وفى الاقتراب يعانيان من قلق الخوف من السأم .

وفى الابتعاد يعانيان من قلق الخوف من الهجر والنسيان ..

يقتربان يشدهما الشوق ، ويبتعدان ليتجدد الشوق ليقتربان أكثر وأكثر ..

وهكذا فى حركة بندولية لاسكون لها ولا توسط ..

وفى الابتعاد تكون الرؤية أوضح . إبتعاد يتيح التأمل والتركيز ومحاولة الاكتشاف ولكن هيهات أن يصل الى نهاية مطلقة .. هيهات أن يمسك بكل النجوم مجتمعة .. هيهات أن يصل الى السر الأعظم .. هيهات أن يحتوى بقلبه كل الكنز . يظل هناك دائماً أمراً مخفياً ..

يظل هناك أمر غامض . يظل هناك لغز يستعصى على الحل . تظل هناك معضلة فكرية تستعصى على الفهم الكامل .

يظل هناك حجاب ساتر لايكشف عن الكل بل يخفى جزءاً يجتهد الانسان العاشق فى الوصول الى كنهه .. الى كشفه .. الى فهمه .. الى إدراكه .

.. ولذلك تظل هناك بقعة قلق على أرضية السلام والطمأنينة .. يظل هناك نقطة قلق فى أرضية السعادة .. تظل هناك مساحة حزن فى أرضية الشوق .. هذا هو قلق الحب . ولا يحدث هذا إلا من شدة الحب .

.. وتلك هى الحدود البشرية . حدود الانسان . فالانسان فى الحب يطمع فى أن يتحقق من الكمال .من الابدية . من اللا نهائية .. من الخلود .. من المطلق .. يريد أن يتحقق من أنه قهر الموت وأنه كشف سر الحياة .. سر الخلق .. سر الوجود ..

يريد أن يحيط الكون كله بعينيه وأن يستوعب الحكمة كلها بعقله وأن يستشعر كل الطمأنينة بقلبه .

فى لحظة هو يريد الفناء الكامل فى حبيبه ويريد لحبيبه الفناء الكامل فيه .

ولكنه يقلق من ضياع العلاقة لان العلاقة تتطلب إثنان لا واحداً . ولذا فانه فى اللحظة التالية يريد الانفصال . أن تكون هناك مسافة .. مسافة تتيح له الرؤية الواضحة .

الرؤية الشمولية الاستيعابية . الرؤية الفاحصة المتأملة المدققة التى تجلب متعة التطلع الى الحبيب . التطلع الى داخله . إنها رؤية الداخل للداخل وليس مثلما نبتعد عن لوحة معلقة على الحائط لنراهابوضوح .

إن الحبيب يستطيع أن يغلق عينيه ورغم ذلك يرى حبيبه بوضوح شديد . إن هذه المسافة تتيح له أن يغوص فى داخله . أن يستشعر داخله وأن يستوعب فكره ووجدانه .

ولكن يداهمه القلق والعجز عن الاحاطة الكاملة . عجز القدرات البشرية . عجز الانسان . فيقلق ويجزع . فيقترب لعل الاقتراب يتيح له إحتواء من نوع أخر .

يقترب الى حد الالتصاق وإمتزاج الأنفاس . ويذهب قلقه الى حين . يكونان فى أقرب نقطة تلاق . ولعل الأبدان هى أحد الوسائل التى يلجأ اليها الحبيبان لتحقيق أقرب نقطة تلاق . أقصى درجات الاقتراب .

وهنا تأتى أهمية الابدان وهى أهمية ثانوية وليست أولية . وهذا هو الفرق بين الحب العشقى والجنسى .

.. الجنس يحقق تلاق مؤقت للاجساد لافراغ رغبة تشعر بعدها الروح باللوعة وبمزيد من الوحدة وربما الأشمئزاز ..

أما في الحب العشقى فإن تلاقى الابدان يحقق قدراً من الطمأنينة والسعادة إستجابة لرغبة الارواح فى مزيد من الاقتراب والالتصاق .

ولهذا فإن الأبدان فى الحب العشقى هى وسيلة وليست هدفاً .

.. وتستمر الروح قلقة فى سعيها الى الحبيب . تستمر الاشواق . يستمر التطلع . تظل محاولات الاقتراب ثم الابتعاد من أجل الاقتراب .

.. إنها الأرجوحة الصاعدة الهابطة التى تبدأ من نقطة لتبتعد عنها لتعود اليها ثم تبتعد عنها لتعود اليها . لاسكون ولاإستقرار عندها . بل إبتعاد من أجل معاودة الاقتراب .

وحين نصل إلى هذه النقطة ونظن أنه آن أن نستقر ونسكن إذ بقلق السكون يعاودنا . قلق السأم .. فيداهمنا خوف .. فندفع الارجوحة الى الابتعاد .. إلى الهبوط مرة أخرى . فيؤلمنا الحنين والشوق .. يمزقنا الارق .. نصاب بالجنون للابتعاد .. نخاف الفقد .. فقد الحبيب هو فقد الحب هو فقد الحياة .. إنه الطريق إلى المقصلة . إنه الإعدام الذى يفضى إلى العدمية واللاشيء والنهاية ..

ولهذا يندفع الحبيب نحو حبيبه لتعود اليه الحياة .. فرحة اللقاء بعد غياب مثل فرحة من أعفوا عنه وأعتقوا رقبته .. مثل فرحة الطفل حين يعثر على أمه بعد أن تاه عنها .. اللقاء فرح .. فرح زوال القلق .. قلق الموت .. وفى الالتصاق ضمان الدوام ..الاستقرار .. الخلود ..

.. لماذا هذا القلق . ؟ هذا النوع من القلق لا يعرفه إلا الذى أحب فعلاً . لانه حين يحب تتكشف له أشياء غير متاحة لاى بشر . إنه يرى الجنة الحقيقية .. يرى الجمال الحقيقى .. يتاح له من أسرار الكون مالم

يتح لأحد .. يتذوق الدنيا بطريقة جديدة .. ينفتح أمامه عالم مسحور باهي ورائع .. يدخل عالم الخلود .

يعرف المعنى . يتحدد الهدف . كل شيء يكتسب لوناً . وكل شيء يصطبغ بجمال أخاذ . الشجرة والوردة والنهر والجبل والقمر والنجوم والسماء والهواء والفجر والموسيقى والشعر والعلم والعمل والاخوة والصداقة والزمالة والوطن .. عالم جديد .. دنيا جديدة .. كون جديد . سماء جديدة .. أرض جديدة ..كل هذا عرفه ووصل اليه وأكتشفه وتذوقه من خلال الحبيب .. من خلال الحب .

ولهذا ففقد الحب هو الموت بعينه .

يقلق ليس فقط خوفاً من فقد الحب ولكن خوفاً من أن يخفت ويضعف .

وكيف يضعف وهو مصدر القوة العليا .. ؟! كيف يضعف وهو مصدر الحياة .؟!

.. ولهذا فهو يقترب ويلتصق ليضمه ويلمسه ويشمه .

يلجأ الى الحس المادى ليجلب له الطمأنينة المعنوية .. ثم يبتعد ليتيح لعقله التأمل والرؤية الشاملة .. طمأنينة فى القرب وطمأنينة فى البعد . قلق فى القرب وقلق فى البعد . ولذا يظل هناك دائماً حالة من التطلع الدائب .. حالة من الترقب .. حالة من الانتظار .. حالة من التوقع .. حالة من السعى .

حركة وإجتهاد وعمل وإبداع وإبتكار وخيال ووهم من أجل الابقاء على النار مشتعلة ..الابقاء على تدفق النهر .. الابقاء على هطول

الأمطار .. الابقاء على سريان الرياح .. الابقاء على كل ذلك بنفس القوة التى بدأت بها .. قوة الحياة . قوة الاثارة .. قوة الخصوبة .. الثراء ..

□ □ □

.. ولهذا لاتشبع الروح وإنما يشبع الجسد . ولاتموت الروح وإنما يموت الجسد . ولاتفنى الروح وإنما يفنى الجسد ويتحلل .

ولهذا فالحب أقوى من الموت .

الحب هو المستقبل وما بعد المستقبل .

الحب هو الديمومة واللانهائية والخلود المطلق .

ولأن الإنسان محدود ونهائى وغير خالد والموت ينتظره في نهاية الطريق فإنه يقلق ويجزع .

يخاف ويأتى الحب ليطمئنه ويأخذ بروحه الى عالم الخلود فيهنأ ويسعد ولايبقى عنده من خوف إلا الخوف من زوال هذه النعمة التى أنعم الله بها عليه وأختاره وإصطفاه وكافأه بها .. نعمة الحب .

.. ولهذا فإن الانسان العاشق يبحث دائما عن الجديد .. ينمو .. يتطور .. ينضج ..

يصعد أكثر إلى سموات جديدة .. آفاق جديدة .. أحلام جديدة ..

وكلما كبر عمر الحب زادت الحيوية . زاد النشاط . عظم الأمل . زادت الرغبة لمزيد من الابداع . بل زادت القدرة على الابداع والتجديد ، والاضافة للحياة .

إن حياة الحب هى حياة النشاط والتجديد . ولهذا فمتعة الحب تزداد مع السنين .

ومع هذا يزيد التوقع . التوقع لمزيد من اللذة .. مزيد من السعادة .. حالة من الجوع المستمر لايهدئها شبع .

ولهذا فالمحبون هم الأحياء الحقيقيون . هم المبدعون الحقيقيون . هم القوة الحقيقية الدافعة للحياة . هم الاضافة والاستمرارية .

ولا جديد يأتى إلا من قلب وفكر العاشق .

.. ولايتحقق إطلاقاً إشباع كامل للرغبة . الروح لاتشبع لأنها إذا شبعت توقفت .. سكنت ..

وفى ذلك الموت . ولذلك فالشوق دائم . ولايفقد الحبيب إطلاقاً شوقه لحبيبه حتى وإن كان على بعد أمتار من مرمى العين . والهجر قد يكون مصطنعاً من أجل إشعال مزيد من النار وبعث مزيد من الحركة العنيفة خوفاً من ركود مفاجىء .

ولهذا قد يثير المحبون خلافات سطحية يبتعدون بسببها وهم يعرفون أنهم سيعودون . وما أسهل صلح المحبون .

إن سعادة اللقاء بعد الهجر لاتعادلها كل لذات الدنيا معنوية ومادية مجتمعة . إنها اسعد لحظات العمر لايصفها قلم أو لسان .

.. ولهذا فلابد من مسافة فاصلة . مسافة تتيح الاقتراب . ولكن مهما بعدت المسافات فإن الارواح قريبة ولكنها مسافة يسعد بها الجزء البشرى فى الانسان .

أما الجزء الروحي فإنه فى حالة عناق مستمر . الارواح دائماً متعانقة رغم إنفصال الاجساد ..

ولهذا فحيل الابتعاد والهجر هى حيل طفولية مصطنعة ونوع من اللعب والتسلية واللهو . إنها حالات الطفولة التى يعيشها المحبون .

.. ولهذا لافناء كامل فى شخص المحبوب . وإنما هو الاحساس الواعى المتجدد بفرديته وتفرده وتميزه وإختلافه . وفى الحب العميق يصبح كل طرف فى نظر الآخر شخصية لامتناهية مطلقة فوق حدود النقد والمقارنة . ونجم عال فى سماه إستطاع هو أن يحتل مكاناً بجواره في هذه السماء العالية وأن ينهل من نوره لتضىء به جنبات نفسه ، وأن يهبه من نوره ليضىء به جنبات نفسه إذ إستحال هو أيضاً بفضل الحب إلى نجم ساطع قادر على الاشعاع والنفاذ والبقاء فى سماء الحب العالية الصافية .

ولكن أبداً لايتوحد النجمان ولايذوب أحدهما فى الآخر . والنجوم تضىء وتنطفىء . نعيش دورة الزمان . دورة الليل والنهار . وهذا هو رمز الحياة . رمز الاستمرارية . شىء نابض . متحرك . يعلو ويهبط . يقوى ويضعف . ينشط ويخفت . ظهور وإختفاء . هذا هو نبض الحياة .. وهذا هو نبض الحب .

وما النبض إلا الحركة والحياة . إيقاع الحياة هو دليل الحياة .

.. ولذا من أخص خصائص الحب والمحبين أنه لارتابة ولا تكرار . بل كل لحظة شىء جديد . حتى وإن كررا نفس الكلمات وجلسا فى نفس الاماكن فإنهما يعيشان هذه الخبرات المتكررة بطريقة جديدة .

ولذا لايمل المحبون من نفس الأغانى التى إعتادوا سماعها ولامن نفس الاماكن التى اعتادوا الذهاب اليها . بل يشتاقون اليها شوقاً جديداً .

.. ولكن المحبون يسعدون أيضاً بالخبرات الجديدة والتى لا تكتسب معنى إلا من خلال المشاركة . أن يكونا معاً هو الذى يهب الأشياء القديمة معانى جديدة ، وهو الذى يكسب الأشياء الجديدة معناها الحقيقى .

إذن فعل المشاركة (أن يكونا معاً) هو وراء كل إبداع وتجديد . هو مبعث الروح .

.. ولذا فالحب ينمو ولا يتغير . ينضج ولا يتحول .. يكبر ولا يشيخ بل يكتسب قوة وحيوية .

إنه الابدى الخالد الجديد المتجدد اللا متغير القديم الحديث العالى على الزمان والمكان قاهر الملل والسأم والموت باعث الأمل والبهجة والفرحة والنشوى والانتصار .

□ □ □

.. ولأنه نبض وحياة فهناك صراع .. إصطدام .. إحتكاك .. وهو أمر حتمى تفرضه قوانين الحركة . حركة الأشياء .. حركة الأجسام والكتل .. وأيضاً حركة الذوات والأرواح .. صراع تفرضه قدرات الإنسان المحدودة .. صراع تفرضه محدودية الإنسان في الإدراك الكلى الشامل وعدم قدرته على الإحاطة الكاملة وعدم يقين يديه في الإمساك الكامل على الأشياء . ولهذا فهو قلق .

والقلق معناه سهولة الاستثارة والعصبية والأرق والاندفاع .. القلق معناه الصوت العالى أحياناً .. معناه الغضب والتحدى وسوء الفهم وسوء التقدير .

ثورات وفورات . ولكن سرعان ما تتوجع الروح . وإذا بالصلح يتم بلا شروط وبلا وسيط . والندم على مافات من لحظات العمر التى إبتعدا فيها ، فالعمر لا يقاس إلا بلحظات القرب والوصال .

.. ولابد أن يواجه الحب تحديات الزمن .. لابد من أن يصطدم بأرض الواقع .. صعوبات ومشاكل . حساد وعزال وحاقدون .

وقد تحدث مواجهات قاسية بين المحبين أو بينهم وبين آخرين . بينهم وبين الواقع . ولكن أبداً لا ينال هذا من الحب شيئاً . لا يسقط من الجدار العظيم ذرة رمل واحدة . لا يهتز لحظة .

بل يكون هناك إصرار على الاستمرار معاً . كل شيء يهون إلا أن نبتعد . كل شيء مقدور عليه إلا أن نفترق . أن نبتعد أن نفترق معناه الموت .. معناه اللاشيء .. معناه العدم .. معناه التفاهة والسطحية والضحالة واللامعنى والفتور والسأم والضجر ثم الحزن الذى لا ينتهى .. حياة بدونك الموت أفضل منها .

ولهذا مهما كانت حدة الصراع ومهما كانت المشاكل فإن الحب ينتصر في النهاية . يعودان معاً بين دهشة المحيطين ممن كانوا يتوقعون القطيعة من بعد الوقيعة . ولكن أبداً لا ينفصلان .. في النهاية يعودان معاً .

□ □ □

.. وروح الحب تتسم بالسماحة والصفاء .

وحتى في أوقات الصراع والغليان والخصام لا يحاول أى منهما أن يتصيد للآخر الأخطاء . وحين يجتر كل منهما تاريخ حياته مع الآخر

ويحاول أن يعثر على الإساءات فإنه يفشل . لا يطاوعه عقله ولا يطاوعه قلبه . بل على العكس فإنه لا يتذكر إلا أجمل الذكريات .

فى الاحوال العادية وفي العلاقات مع الآخرين فإنه في حالة الخصومة يقوى الإنسان دوافع العدوان لديه بأن يحاول أن يتذكر أو يجمع الإساءات التى صدرت من الطرف الآخر وأن يتناسى الجوانب الإيجابية في العلاقة .

أما العكس فيحدث في حالة الحب . الإساءة تُنسى والتى لم تكن فعلاً إساءة . وتجسم الذكريات الجميلة والتى تدفع المحب دفعاً نحو الصلح مع حبيبه . وما أسهل صلح المحبين دون الحاجة إلى طرف ثالث .

□ □ □

.. والغيرة أحد أشكال العذاب في الحب . الغيرة قلق وضيق وغضب وألم .

وفي الحب الحقيقى يغار الإنسان على الحب . يخشى الإنسان فقد حبه . وفقد الحب معناه فقد الحياة . أى يفقد ذاته وكيانه .. والفقد هنا عظيم .. والحزن عظيم .. وليس هذا شبيه الغضب الذى يشعره الإنسان عندما يفقد شيئاً يمتلكه .

في الحب الزائف – أى حب التملك – يجزع الإنسان من أن يفقد الطرف الآخر الذى يعتبره ملكية خاصة له خاضعة لسيطرته .

هذا هو الفرق بين الغيرة في الحب الحقيقى والغيرة في الحب الزائف .

ولذا فمشاعر الغيرة في الحب الحقيقى هو مزيج من الحزن والقلق والخوف أما في الحب الزائف فهى مزيج من الغضب والعداوة .

الغيرة في الحب الحقيقى هى مثل مشاعر الإنسان الذى سيفصلون له ذراعه أو سينتزعون منه عيناه . إنه فقد لكل معنى . ولذا يعتصره الألم عصراً . تفسد كل الطرق أمامه .

□ □ □

.. وفي حالة الحب الحقيقى لا يتعرض المحبان لعذاب الشك . فهناك طمأنينة كاملة لاخلاص ووفاء الحبيب . لا مجال لعبث المرأة أو لدون جوانية الرجل في الحب الحقيقى .

إما حب أو لا حب .

وإذا كان حباً فإن الاخلاص أمر ليس إختيارى . ولهذا ينعم المحبان بالطمأنينة الكاملة والثقة العمياء . والمحب يدرك اخلاصه مثلما يدرك إخلاص الطرف الآخر .

ولذا فهناك تلقائية وبراءة .. وإستحالة الكذب أو التزييف أو النفاق .. بل كل يكون على طبيعته . يكون نفسه . ذاته الحقيقية .

وذلك هو الجمال الحقيقى في علاقة الحب .

.. وكما قلنا فإن الصراعات فى الحب تكون موجودة على القشرة الخارجية ولذا من السهل إزالتها . بإبتسامة .. بنظرة حانية .. بدمعة صادقة . بلمسة يد حانية . بعناق رقيق . فى لحظة واحدة يذوب كل الألم والعذاب وتحل محلها الفرحة . ولهذا فإن أى خلاف لايخلف وراءه أسى أو أثر يدوم أو ذكرى سيئة .

المحبون يتواصلون بالنظرات ، بتعبيرات الوجه ، بنبرات الصوت . إذن لاحاجة للكلمات . إن كل شيء ينطق بالحب .

ولهذا فالحبيبان المتخاصمان قد يتصالحان فى لحظة بنظرة عين .. إنه إتصال روحى عميق .. هما روحان فى جسد واحد أو روح واحدة موزعة فى جسدين .. هما إثنان فى واحد .. هما وحدة واحدة ..

وهذا هو سخاء الحب وثراؤه وعظمته وكرمه . إن أعظم ما ينعم به المحب هو تلك القدرة الخارقة على الاتصال الداخلى العميق بذات محبوبه حيث تتآلف الروحان وتنسجمان .

إنها حياة المشاركة الروحية . روحان تتآلفان تنسجمان تتوادان تتراحمان .

□ □ □

.. ومن الصعب بل من المستحيل تكرار تجربة الحب مرة ثانية فى حياة الانسان . وإذا كانت التجربة الثانية صادقة حقاً فإن التجربة . الاولى لم تكن صادقة . وإذا كانت التجربة الأولى صادقة فمن المستحيل أن يعقبها تجربة ثانية .. ولذا فإنه حتى بعد موت أحد طرفى العلاقة فإن الحب يظل باقياً كما هو بحرارته وقوته فى قلب وعقل الطرف الآخر الباقى على قيد الحياة .

ولذا فإن الحب الحقيقى بقدر ما ينطوى على سعادة فإنه أيضاً ينطوى فى بعض جوانبه على عذاب وألم . إذ يبدو أن الانسان . حتى وإن كان مؤهلاً للحب . فإن إمكانياته النفسية غير قادرة على مثل هذا الترابط العميق بين روحين .

إنه لامر جلل وعظيم فوق مقدرة المادة البشرية . إنه إنكشاف للذات والوجود يسبب فى البداية فرحة واندهاشاً وفزعاً ثم بعد ذلك سعادة وألماً .

.. ولأن المادة البشرية لها ضعفها وهفواتها وزلاتها واخطاؤها فإن المحبين يجدون صعوبة فى التسليم بهذا الضعف البشرى .

إن طموحاتهم دائماً نحو المثالية والحبيب هو المثل الأعلى ، وذلك أحد جوانب الصراع والعذاب والألم في الحب . الصراع بسبب عدم القدرة على التوفيق بين الصورة الواقعية والصورة المثالية .

إنها لحظات إهتزاز بسيطة ثم يعود المحب بعدها إلى ثباته وإستقراره وثقته وطمأنينته . يعود فيدرك أن مايبدو من محبوبه من ضعف ونقص إنما هو سطحى لايمس من جوهر روحه ولاينال من أصالته ولايزعزع قيمه الثابتة . إن مايصدر عنه من توافه ونقائص لاينال إلا قشرته الخارجية فقط .. أما باطنه فرائع وعظيم ولا أحد يدانيه فى الدنيا .

□ □ □

.. ولا يوجد بأى حال مايسمى بالصديق المشترك للعاشقين . لايوجد ما يسمى بالوسيط أو القاضى أو المستشار . لاأحد يستطيع أن يقترب من أحاسيس العاشق تجاه معشوقه . ولاأحد يستطيع مهما كانت درجة قربه أن يتفهم طبيعة هذه المشاعر .

علاقة الحب هى دائرة مغلقة على طرفيها لامكان للثالث مهما كانت درجة صداقته أو قرابته ومهما كان صادق النية صافى النفس . ولاشىء يثير الحسد فى الدنيا قدر الحب . إنه جنة الله على الأرض . ولهذا فالمحبون الحقيقيون قليلون والحاسدون كثيرون .

.. والطرف الثالث دائما مايسىء الى علاقة الحب حتى وإن كان حسن النية وخاصة إذا لجأ إليه المحبان للتحكيم أو الوساطة أو للاستشارة .

المحبان لايحتاجان الى هذا الوسيط . إن أى خلاف بينهما من الممكن أن يزول فى لحظة . وأى منهما يستطيع بسهولة أن يتخلى عن وجهة نظره من أجل الطرف الآخر . وخلافاتهما سطحية وعابرة وبسيطة . ومهما تباعدت وجهات النظر ومهما عمق الخلاف فإنهما سرعان مايلتقيان ويتفقان وسرعان مايتناسيان ما كان بينهما من إختلاف وخلاف .

هذه الحقيقة قد لايفهمها الطرف الثالث . أى قد لايفهم طبيعة المحبين ، ولهذا فهو حين يتدخل فى نزاع أو خلاف فإنه يتعامل معه بمنطقه هو أو بمنطق الناس العاديين . وهو إذ يحاول أن يكون عادلاً ومنصفاً فقد يناصر طرفاً ويدين الطرف الأخر ، ويميل لوجة نظر ويختلف مع وجهة النظر الأخرى فإنه بذلك يفسد لايصلح ويزيد الهوة ويعمق الخلاف .. لانه لامنطق فى علاقة الحب ولاحاجة الى العدل ولاضرورة للانصاف .

إذ أننا نرى أن المحبين إذا تصالحا يتنازل كل منهما عن حقه ويتراجع عن موقفه ويتخلى عن وجهة نظره .

فالحب ما هو إلاعطاء بلا إنتظار لمقابل وإيثار وتضحية وحماية ورعاية ومسئولية .

إذن لاحاجه للعدل والانصاف والمنطق .

.. والطرف الثالث قد تحركه دوافعه اللاشعورية التى يغمرها الحسد فيسىء من حيث لايرغب شعورياً فى الاساءة أو قد تحركه دوافعه الشخصية أو مشاكله هو فيسقطها على أحد الطرفين وفى هذا أيضاً إساءة وتجسيم لأى مشكلة .

.. وقد يكون الطرف الثالث حاقداً وهو مايسمى بالعزول وهو من يتعمد الاساءة شعورياً أى عن قصد ولكن بخبث ومكر ويزيد النار إشتعالاً .

وتلك أحد الأخطاء القاتلة التى يقع فيها المحبون حين يشركون أطرافاً أخرى فى حياتهم فيدفعون الثمن ألما وعذاباً .

.. مهما أوتى أى إنسان القدرة على الفهم الواعى والاحساس العميق والمشاركة الوجدانية . مهما أوتى من صدق وصفاء فإنه لن يستطيع أن يدرك عمق العلاقة الروحية التى تربط المحبين .. إنهانفحة إلهية . صلة عميقة باطنية . سر غامض .

.. أما الخيانة فلا مكان لها فى الحب الحقيقى . الخيانة تقضى على أى مشاعر . وإذا قلنا أن الخيانة تقتل الحب فهو أصلاً لم يكن حباًطالما أنه سمح للخيانة بأن تقع . فلا حب مع الخيانة ولا خيانة مع الحب .

ولذلك فأنت لن تجد على وجه الارض حبيباً يشكو من خيانة حبيبه فهذا أمر مستحيل الحدوث .

.. ثم يتبقى نوع أخير من القلق .

قلق مبهم غريب غامض لاتفسير له .. إذ ترى المحبين فى ظل سعادتهم ونشوتهم وإستغراقهم وإستمتاعهم يشعرون بتسرب القلق والخوف .. يشعرون بحزن خافت . بألم رقيق . بعذاب محتمل . مزيج غريب . لاراحة مطلقة .. قدر معين من التنغيص .. قدر معين من الحيرة .. ولكنه على كل حال ألم مستعذب .. فكلما صعدت الروح فى دروب السمو والرفعة نحو سماء الفضيلة والجمال فإنه لابد أن تكابد ألماً إذ أن الألم وثيق الصلة بالسمو .. الألم وثيق الصلة بالحب .

الفصل الحادي عشر

الحب والجنس

.. الجنس شيء جسدى .. أما الحب فهو الوعى وهو الحقيقة المعنوية .. الحب شيء ثمين ، أما الجنس فهو مجرد حاجة بدنية .. الحب مقدس وليس الجنس .. الحب يتواجد فقط كظاهرة مقدسة .. لايوجد حب سيء .. الحب السيء ليس حباً على الاطلاق .. الحب هو شيء إلهى رومانسى .. ومن الممكن أن يكون الجنس شيئاً رائعاً ، ولكن هناك جنس سيء رخيص .

.. والحب علاقة بين الارواح .. بين الذوات .. علاقة بين وعى داخلى ووعى داخلى آخر .. علاقة بين الجوهر والجوهر .. إنه تلاق إنسان مع إنسان آخر على مستوى الذات .. الروح .. الوعى .. الجوهر .. علاقةشمولية .. فيض من نور الله .

أما الجنس فهو علاقة بين الأجساد .. إلتقاء جسد مع جسد .. ولايخلو حب من جنس ولكن قد يخلو جنس من حب .. وإذا كنا نقول أنه لايخلو حب من جنس فهذا ليس معناه الربط الكامل بين الحب والجنس .. فالحب ظاهرة منفصلة مستقلة .. ظاهرة تعلو فوق الرغبات والشهوات .. علاقة دائمة وليس حالة ملحة تدعو الى تحقيق رغبة وإرضاء شهوة وإفراغ حاجة .. الحب حالة دائمة أما الجنس فهو حالة مؤقتة .

.. فى الحب الحقيقى لايكون هناك إشتهاء جنسى .. ولكن تكون هناك رغبة فى التلاق والاقتراب والالتصاق .. الرغبة الجنسية فى الحب تأتى كمسألة ثانوية وبطريقة المصادفة .. الجنس لايلعب دوراً أولياً فى علاقة الحب .. الحب علاقة شاملة أى تشمل كل شىء ..تشمل الوعى والروح والذات ، والأبدان . تكون مجرد وسائل ..الحب لايشمل البدن ولكن يحركه وينشطه .

.. أما الجنس فمن الممكن أن يكون منفصلاً تماماً عن أى مشاعر .. قد يتمتع الجنس عند بعض الناس بإستقلالية تامة .. جنس بلا حب .

وأيضاً قد يكون هناك حب بلا جنس على الاطلاق ، أو قد يطل الجنس إطلالة رقيقة خفيفة ، أو قد تكون هناك رغبة جنسية عارمة تتعادل وتتوازن وتتوافق مع شدة الحب وشدة الرغبة فى التلاق ويكون بذلك تعبيراً عن الرغبة فى الالتصاق والتلاحم والذوبان .

وإذا أمعنا النظر لايكون الجنس هنا تحقيقاً لرغبة جنسية حادة وملحة بقدر ما هو وسيلة للتعبير أو أسلوب للتعبير . يصبح مثل الكلمات الرقيقة والهمسات الحالمة واللمسات الحانية والبسمات الهائمة .. يصبح الجنس شكلاً من أشكال الاتصال والتواصل .. إنها نشوة الحب التى تهز الاجساد مثلما تهز الارواح .

ولهذا نجد بعض المحبين يسعدون أيما سعادة بالعلاقة الجنسية معاً .. ونجد آخرين من المحبين لاينشغل بالهم إطلاقاً بأمر هذه العلاقة وقد يعزفون عنها وتحتل مركزاً متأخراً فى علاقتهم ويجدون متعة أكبر فى المشاركة فى أشياء أخرى ، بخروج فى نزهة أو الحديث والسمر .. وفى أحوال نادرة تنعدم الرغبة الجنسية تماماً مع شدة الحب ورومانسيته .

.. ويبدو أن الامر يتوقف على نوع الشخصية والبناء النفسى والتراث الثقافى الحضارى للشخص ذاته .. وقد يكيف أحد الطرفان نفسه على شخصية الآخر بما لها من فلسفة وأسلوب وإحتياجات ونظرة للأمور .. فقد يختلفان اختلافاً مبيناً فبينما تكون هى مثلاً عازفة عن الجنس ومكتفية بوسائل أخرى للاتصال والتعبير يكون هو مقبلاً اكثر على الجنس وأيضاً كوسيلة للاتصال والتعبير .. ولكن رغم إختلافهما فإن هذا لايعوق سعادتهما ونجد أن أحدهما يكيف نفسه حسب إحتياجات الآخر .

.. أما حينما يكون الجنس مستقلاً .. الجنس لمجرد الجنس ، فلا بديل عن الممارسة ويكون هذا هو قوام العلاقة وعمودها الفقرى ومبعث إستمرا ها .. أما الجنس فى علاقة الحب ما هو إلا مرحلة إختيارية لاحقة .. إنه أسلوب يتعلق بكيفية وإمكانية التعبير عن الحب .. الحب الأمثل يتواجد على مستوى الوعى الخالص وبعد ذلك قد تكون له مظاهره الاجتماعية والبيولوجية كالزواج والجنس والاطفال .. الرغبة فى الزواج بين المحبين مثل الرغبة فى الجنس .. الزواج حاجة إجتماعية .. شكل من أشكال الارتباط والتوصل والالتصاق بين المحبين ..أن نكون معاً .. أن نستمر معاً . ألايبعدنا شىء . ألا يفصلنا شىء وكذلك الرغبة فى الجنس .. هو شكل من أشكال الارتباط والتواصل والالتصاق بين المحبين .. أن نكون فى أقرب نقطة . أن نلتصق أكثر وأكثر .. أن نتلاحم .. أن نذوب .. أن نفنى .. إنها الرغبة السامية والقصوى فى التوحد .. ذلك هو التعبير بالجزء البشرى فى الانسان .. والزواج هو التعبير عن الجزء الاجتماعى فى الانسان . أما الرغبة فى الاطفال فهى التعبير عن الجزء الاسرى فى الانسان .

.. الجوهر الحقيقى للإنسان يملى عليه أن يتلاقى مع جوهر إنسان آخر حقيقى ، وهذا هو الوصف الدقيق للانسان الحقيقي ، إن جوهر الانسان لايكون فى تحقيق ذروة الاستمتاع الجنسى بل فى الالتقاء بالوعى الداخلى لانسان آخر . التقاء الروح .. إكتشاف الذات .. الانفتاح على الوعى الآخر وإتاحة الفرصة لهذا الوعي الآخر أن يرى صورته الحقيقية ثم ليصعدا معاً فى سماء الحب والفضيلة .. ثم يكتشفا الرغبة الجنسية المتبادلة بالمصادفة .. فتكتسب هذه العلاقة الجنسية أهمية ومعنى خاصا مرتبطا بعلاقة الحب التى تجمعهما .

.. وفى ظل علاقة الحب لاتصبح للتفاصيل الجنسية أية أهمية مثل . جمال الجسد وإستجابة المرأة ومقدرة الرجل .. يصبح الاداء نفسه غير مهم .. لاتهم الطريقة أو الأسلوب أو الأوضاع . مثل هذه التفاصيل التى تتعرض لها كتب الجنس ويتعرض لها المهتمون مهنياً بالجنس كالأطباء . هذه التفاصيل لاتهم فى كثير أو قليل العاشقين .. ولكن مثل هذه التفاصيل تكون على درجة كبيرة من الاهمية حينما يكون هناك جنس للجنس . أى يكون الجنس هو أساس العلاقة .. هنا تهتم المرأة بمظهرها ومدى قدرتها على إثارة الرجل وإمتاعه وتتفنن فى أساليب تتعلمها من الكتب أو من نصائح الطبيب أو من الصديقات .. مثلما يهتم الرجل بمقدرته وأدائه ومدى إمكانية أن يسعد المرأة التى معه . ويهمه فى النهاية أن يرى فى عينيها رضاءها عن أدائه ، وقد يسألها سؤالاً مباشراً: هل إستطعت أرضائك والوصول بك الى قمة النشوى .. ويشعر بالزهو لذلك . وكأنه يريد أن يقول لها أنك لن تجدين رجلاً آخر قادر على إمتاعك مثلى . أو وكأنه يعانى خوفاً داخلياً من أن يكون هناك رجل آخر قد إستطاع أن يرضيها بطريقة أفضل منه إذ أن هذه النوعية من العلاقات القائمة

على الجنس فقط لايوجد فيها إخلاص أو ثقة أو وفاء . هى فى الغالب علاقات تعددية لا إستمرارية فيها . ولهذا فالشريك يتفنن فى إختيار شريكه ويحافظ على إرضائه ، ويهمله إذا فشل هذا الشريك فى أرضاء رغباته وتحقيق توقعاته .. إنها علاقة تعتمد على الأخذ والعطاء بقدر متساوى .. على عكس علاقة الحب التى تعتمد على العطاء المطلق بدون إنتظار مقابل .

□ □ □

.. والذروة الجنسية فى علاقة الحب ليست فقط هى الاستجابة الفسيولوجية النهائية الكاملة .. إنها حالة مستمرة من المتعة تشترك فيها النفس والجسد معاً .. كل النفس ، وكل الجسد وليس أجزاء بعينها .. إنها حالة من النشوى الشاملة الآخذه .. والغريب أن المرأة العاشقة قد لايتحقق لها هذه الذروة النهائية مع من تحب ولكنها لاتشعر بإفتقادها لشيء .. وليس هذا خرقاً للقوانين الفسيولوجية ولكنها تعيش حالة الارضاء الشامل وإفتقاد هذه الجزئية لايسبب لها إزعاجاً بل قد لاتشعر إطلاقاً أنها تفتقد شيئاً .. فقد تتزوج المرأة من رجل لاتحبه ، وقد ينجح هذا الرجل إلى أقصى حد فى تحقيق ذروتها الجنسية .. ثم تتزوج من بعده رجلا آخر تحبه ولايقدر على تحقيق ذروتها بالقدر الذى سبق أن تحقق لها مع زوجها الأول .. مثل هذه المرأة تستطيع أن تقرر بوضوح أن متعتها الجنسية تتكامل مع الزوج الثانى الذى تحبه ، وأنها كانت تفتقد أشياء كثيرة مع الرجل الأول الذى لم تكن تحبه .

.. إذن الجنس فى إطار الحب ليس فقط الممارسة الميكانيكية التى تعتمد على القوانين الفسيولوجية المحضة .. إنها تجربة إستيعابية شاملة لها جانبها

المعنوى والجسدى .. أما فى العلاقات الجنسية المحضة فإن التركيز يكون على الاداء الذى يحقق تلك الاستجابة الفسيولوجية الكاملة وما دون ذلك يعتبر تقصيراً وفشلاً فى بلوغ الغاية .

.. والانسان فى بداية حياته قد يمارس الجنس لذات الجنس ولكنه حين يحب حباً حقيقياً يكتشف أن هناك معنى آخر للجنس .. إذ يستمتع بنوع آخر من الجنس لم يعرفه رغم تعدد خبراته الجنسية قبل الحب .. وتنغلق الدائرة الجنسية عليه مع من تحب . وأى مؤثرات أخرى مهما كانت قوية تفتقد القدرة على تحقيق أدنى قدر من الاستثارة أو الاستجابة لديه ، ولذلك لايوجد مايسمى بالخيانة البدنية مع الحب إذ يفقد أى موضوع جنسى خارجى قيمته وتأثيره طالما أن هناك حباً ، فيفقد الرجل قدرته على النظر إلى أى امرأة على أنها موضوع جنسى . وتفقد المرأة قدرتها على النظر إلى أى رجل على إنه موضوع جنسى .. تنعدم المشاعر الجنسية إلالمخلوق واحد وهو الحبيب .. أى أن الاخلاص لايكون متعمداً فى علاقة الحب الحقيقى .. إنه إخلاص لاإرادى ، وإخلاص البدن من إخلاص الروح .. وهذا يجعل الجنس عند الانسان مختلفاً عن الجنس عند الحيوان .. وهذا أيضاً يجعل ممارسة الجنس خارج إطار الحب مختلفاً عن ممارسته داخل إطار الحب . وهذا يعكس أيضاً إختلاف طبيعة وشخصية الانسان الذى لايمارس الجنس إلا فى إطار الحب عن طبيعة وشخصية الانسان الذى يمارس الجنس للجنس .. إنهما مختلفان إختلافاً تاماً ..إختلاف فى الجذور الأساسية للشخصية والبناء النفسى .. نوعان مختلفان من البشر .

.. الجنس فى حياة العشاق قيمة إختيارية وليس إحتياجاً ضرورياً يجب علينا إشباعه .. إنه إختيار حقيقى وليس إلزاماً حتمياً .. إنه فرصة تُمنح وليس واجباً مفروضاً .. إن عظمة الانسان تكمن فى طريقة . بنائه لنفسه وعالمه ..إنه هو وحده الذى يحدد الدور الصحيح للجنس طبقاً لأسلوب حياته ورؤيته للعالم .. إن كل إنسان أمامه الاختيارالحر .. وإختياره هذا نابع من شخصيته .. ولذلك فإن فسيولوجية الانسان (غرائزه) تخضع لشخصيته وبنائه النفسى أى تتبع أسلوب حياته ورؤيته للعالم .

ولذلك فالإنسان ليس في حاجة الى أطباء متخصصين فى الجنس وليس فى حاجة الى أطباء نفسيين لتحديد علاقاته بالناس وعلى الأخص علاقاته بالجنس الآخر .. الانسان حر .. صاحب إرادة .. لديه قدرة مطلقة على الاختيار وذلك تبعاً لشخصيته وبنائه النفسى .. تبعاً لاسلوب حياته ورؤيته للعالم ..

إن الاطباء والمتخصصين لايستطيعون الاختيار لنا .. الانسان إختيار .. قرار .. أما الحيوان فهو غريزة محضة .

.. ولكن الأطباء والمتخصصين يستطيعون أن يقولوا لنا ما هو طبيعى وما هو غير طبيعى .. ماهو أصيل وما هو غير أصيل .. إن أى فعل يتعارض مع طبيعة الانسان الحقة ، طبيعة الانسان الحقيقى هو فعل غير أصيل .. فعل شاذ ..لانه لايتسم بالصدق .. لانه يعتبر إنتهاكاً لمجال الوعى .. لانه لاتتوفر فيه سمات التحقق مع الذات .

فالعادة السرية مثلاً فعل انسانى غير صادق .. وكذلك معاشرة إمرأة بغى .. وبالمثل إغتصاب إمرأة ضد إرادتها .. وأيضاً ممارسة الجنس لذات الجنس .. إنها كلها ممارسات تحقق إرضاء وإشباعاً على المستوى

الفسيولوجى ولكنها تخلو من أى معنى إنسانى .. تتعارض مع طبيعة الانسان السوية هذا بالرغم من أنها من الناحية الفسيولوجية لا ضرر منها ولا خرق لأى قاعدة فسيولوجية ولكنها خرق كامل للطبيعة الانسانية .

إن كل هذه الممارسات السابقه نستطيع أن نراها على مستوى الحيوان ولانرى ذلك غير طبيعى لأن الحيوان يفتقد للوعى .. يفتقد لارادة الاختيار المبنية .. على وعيه بذاته .

وبالمثل فإن الإنسان الذى لينغمس في مثل هذه الممارسات الجنسية الغير أصيلة فإنه يفتقد للوعى . يفتقد لإرادة الاختيار المبنية على وعيه بذاته وإدراكه لإنسانيته وإنبثاقاً من قيم ثابتة راسخة داخله .

.. وبالتالى فإن الجنس بين عاشقين يولد معان عميقه وجميلة جالبة للذة شاملة .. تفوق حدود إهتزازات الجسد . أما الممارسة فى حالة الاغتصاب وحيث لاتتوافر الموافقة فى حالة الاغتصاب وحيث لاتتوافر الموافقة والتقبل المشترك ، وكذلك الممارسة فى حالة ممارسة الجنس للجنس وحيث لاتتوافر معرفة أصيلة لجوهر الطرف الآخر فإن الممارسة الجنسية فى هاتين الحالتين تعتبر إختياراً غير صادق . كما أن غياب الطرف الانسانى المقابل فى العادة السرية يعتبر أيضاً أختياراًغير صادق .

□ □ □

.. إذن الجنس فى إطار علاقة الحب هو الصدق بعينه .. هو الاختيار الصادق . إن الصدق يعنى أن الاختيار قد تم بوعى وإدراك تام .. وأن هذا الاختيار منسجم مع بناء مجال الوعى الانسانى . أما عدم الصدق فهو إنتهاك لقيمة وأهمية الوعى الانسانى ودوره فى توجيه سلوك الانسان .

.. إن الصدق فى علاقة الحب الحقيقى معناه أنه من خلال الوعى الانسانى السامى يقوم الطرفان بترجمة مشاعرهما إلى واقع جسدى وبيولوجى . وهذا هو السر لمنتهى الاشباع الجسدى الذى يتحقق من خلال هذه العلاقة . ولذلك فالمحبون يدركون أجسامهم بشكل شامل ومتكامل ولايرون فيه نقصاً أو عيباً ولايجزعون لتأثير تقدم العمر .

بل أن المتعة تتزايد حين يدركون دور وأهمية الجسد فى تحقيق ضرب من التواصل وضرب من التعبير .. ولذلك فاننا نرى مثلاً سيدة فى السبعين قد عاشت حياة جنسية حافلة ممتعة مع رجل واحد تحبه بينما فتاة فى العشرين فشلت رغم الممارسات المتعددة أن تحقق أى متعة جنسية وذلك لانها مارست الجنس كبغى أو أنها مارسته على سبيل التجريب أو بدافع جنسى محض مع رجل لاينظر اليها إلاكموضوع جنسى .

.. إن كلمة الاشباع تفهم خطأ على أنها إرضاء فسيولوجياً كاملاً .. ولكن فى الحقيقة وعند الانسان الحق فإنها تعنى إشباعاً نفسياً وفسيولوجياً .. وأن هذا الاشباع الفسيولوجى يتحقق نتيجة للاشباع والارتواء النفسى .. أى أن الاشباع الفسيولوجى لاحق وليس سابق ولايمكن أن يكون منفرداً مستقلاً .

.. وهذا معناه أن الانسان لايعيش جسده من الخارج الى الداخل لكنه يعيشه من الداخل إلى الخارج .. أى أن نقطة البداية هى الذات الداخلية العميقة .

إن الذات هى وسيلته للاحساس بجسده . ولهذا فإنه إذا كان بناؤه النفسى سوياً .. وإذا كان على علاقة حب حقيقية .. أى أنه قد أكتشف جوهره الحقيقى فإن إهتمامه بالمظهر الخارجى يكون محدوداً وكذلك إهتمامه بالكيان الجسدى لمحبوبه يكون محدوداً أيضاً .

أما الانسان الذى يعيش جسده أولاً فهو ذلك النرجسى الذى طغى إحساسه الجسدى على شعوره بذاته العميقة ، ولهذا فهو لايهتم إلا بكل ما هو مادى ملموس مرئى . لايهتم إلا بكل ما يحقق إشباعاً جسدياً محضاً .. يعنى بمظهره ولاتقع عيناه إلا على كل ما هو مثير جسدياً . ولذلك فهو صاحب عيون فهمه .

وهذا الانسان ينهار تماماً ويفقد ثقته بنفسه مع تقدم العمر أو إذا أصابه أى ضعف أو علة جسدية . هذا الانسان يهتم كيف يبدو أمام الآخرين ويهمه تعليق للآخرين وإستحسانهم . إنه يرى الانسان مجرد تركيب عضوى أكثر من كونه وعياً داخلياً ذاتياً مثله مثل الانسان الآلى . يعيش جسدياً ويحتفل بالحياة جسدياً . وهو لا يمارس الرياضة البدنية لأى متعة نفسية ولكن لتحسين أدائه الجسدى . وهو إذا إختار ملابسه لايبحث عن الأكثر راحة أو الأجمل الذى يروق لعينيه ويتفق مع ذوقه وإنما يبحث عن الأكثر جاذبية فى عيون الآخرين .. لقد تحول وعيه من الداخل إلى الخارج .. من الذات إلى الجسد .. وقد يحظى بإعجاب الآخرين ولكنهم لايتفاعلون معه وأيضاً لايحترمونه .. إنهم فقط يستعملونه .. يستعملونه كأداة جنسية .. ومن الممكن أن يكون قادراً على تحقيق ذروة فسيولوجية ولكنه غير قادر على تحقيق إشباع جنسى حقيقى لدى إنسان آخر حقيقى ..

.. وهذا هو المأزق الحقيقى الذى يقع فيه النرجسى والسيكوباتى والأنانى والبخيل .. ويقع فيه أيضاً الانسان الجميل جداً والقبيح جداً .. إن كل هولاء تمركزوا حول أجسادهم وحول متعهم الحسية .. الجميل تصور أن لديه المقدرة الفائقة ، والقبيح تصور أنه معدوم من أى جاذبية

جنسية .. ولذلك يفشل كل هؤلاء جنسياً .. قد ينجحون فى تحقيق ذروة فسيولوجية لأنفسهم وللآخرين ولكنهم يفشلون فى تحقيق إشباع حقيقى لأنهم تحولوا عن مجال الوعى الانسانى وتحولوا إلى ألات جيدة أو غير جيدة .. ألات صالحة وغير صالحة .

..ولهذا فإن جذور عدم الكفاءة الجنسية يجب البحث عنها فى مدى إلتزام البناء الشخصى للفرد بنظرية مجال الوعى الانسانى .. الوعى الانسانى القادر على النفاذ إلى وعى إنسانى آخر .. القادر على الحب .. القادر على التحرك من الداخل إلى الخارج . وبالتالى فإنه إذا لم يتواجد حباً عميقاً فإنه من الصعب أن يتحقق إشباع جسدى . إن العناق ، مجرد العناق فى حالة الحب هو خلق للحقيقة الكونية اللانهائية .. وتلامس المحبان يمتد بحيث يحتوى على الوجود .. إنهما إذ يمارسان الجنس في ظل الحب يشعران أنهما ذاتان متحركتان وليس جسدان .. وبالتالى يشعران أن هذا العالم يقتصر في هذه اللحظة عليهما فقط .. وعيان ومن ثم جسدان . قمة التركيز .. وبالتالى أيضاً لا قلق . ومع إنتهاء هزة الجماع يستمر الاحساس ويمتد الشعور بالرضا العميق والامتنان .

.. إذن التركيز في هذه الحالة يكون على المشاعر وليس على الفعل . بينما من يمارس الجنس للجنس يكون التركيز على الفعل ، ولهذا فهو يسأل في النهاية شريكه : هل أرضيت جسدك ؟ وذلك لأنه تركيز مادى محض .. تركيز في منطقة معينة من الجسد .. ولهذا لا يجرؤ أن يسأل أو لا يجد بنفسه الحاجة أن يسأل شريكه : هل أرضيت روحك ؟ لأنه بإنتهاء هزة الجماع ينتهى كل شيء . إنها تفضى إلى حالة أشبه بالموت ، ويعود الإنسان إلى الشعور بالوحدة والاغتراب والرغبة في الفرار .

.. الحب هو الوحيد القادر على إزالة شعور الإنسان بالوحدة والاغتراب ، ولذلك فالجنس المجرد هو أسلوب زائف للقضاء على الشعور بالوحدة بل يفضى إلى تزايد هذا الشعور المؤلم ، كما لا يمكن أن يكون الجنس طريقاً إلى الحب ، العكس هو الصحيح .. الاعجاب قد يكون ستاراً للمشاعر والرغبات الجنسية .. ولكن بعد ذلك يتبدد هذا الإعجاب ويحل محله السأم والملل .. ولكن لا سأم مع العلاقة الجنسية تحت مظلة الحب بل يتجدد الشوق إليها مثلما يتجدد الشوق لأى فعل يتشاركان فيه .

فالاشباع المادى البحت يقتل الرغبة مثلما الطعام والشراب يقتلان الجوع والظمأ .. أما الروح فلا تشبع ، وكل ما يتعلق بالروح يظل متجدداً .. ومن نعم الله علينا أنه أتاح لنا أن نحب بأرواحنا ..

□ □ □

.. إن أساس الاضطرابات الجنسية إنفعالى عاطفى وليس عيباً في التكوين أو نقصاً فسيولوجياً .. ولا نهاية للحياة الجنسية للانسان مهما طال به العمر .. ولعل أحد الاسباب الهامة للبرود الجنسى عند المرأة افتقاد الحب . وكذلك الذين يعيشون حياة جنسية ماجنة وداعرة وينتقلون من شخص إلى شخص هم فى الحقيقة مرضى يعانون .. وأبداً لايتحقق لهم أى إشباع جسدى أو نفسى .. ولذلك فهم فى حالة عداء مستمر مع الآخرين .. رغبات عدوانية طاغية تحل محل الاحباط النفسى الجنسى ، وشعور شديد بالغيرة والحسد من أى أثنين أنعم الله عليهما بالتوافق فى الحب والزواج والجنس .

.. إن من يبدأ بعطاء الجسد يجد كل الطرق مغلقة فى وجهه بعد ذلك لأى عطاء آخر .. يصبح الجسد هو البداية والنهاية . والمرأة حين يصبح جسدها هو وسيلتها للعلاقة مع الرجل تفقد كل شىء ويزهدها الرجل سريعاً لأن الجسد لايمد الانسان إلا بلحظة سرعان ماتنتهى ولايبقى من آثارها شىء . هزة الجسد لاتهز الروح ولاتحرك لها ساكناً .

□ □ □

.. حين يلتقى موجود بموجود آخر فى علاقة حب فإن الروح تهتز .. ولايرتج لها الجسد فحسب وإنما يرتج لها الوجود كله .. ترتج لها كل الكائنات القادرة على الحب .. الجسد يسأم الجسد .. أما السأم ليس من صفات الروح .. الروح هى الأرحب والأشمل والأسمى .. وفى الانسان السوى يخضع الجسد للروح . أما فى الانسان غير السوى فإن الجسد يتمتع بإستقلالية .. إنه يتحرك وفقاً لغرائزه وإحتياجاته .. ينفصل إشباع الرغبات الجسدية عن كيانه الروحى والاجتماعى والأخلاق سواء إذا كان إشباعاً لرغبة الجنس أو رغبة الأكل .

الفصل الثانى عشر

ماذا يفعل الحب بنا ؟

.. من نعم الله على الانسان أن جعله قادراً على الحب ..

إذن هو منحة إلهية .. نفحة من نفحات الله .. ولذلك إكتسب هذه القدسية .. إنه يجعل الانسان يدرك هذه الحلقة المقدسة منذ أن خُلق ولحين عودته مرة ثانية إلى خالقه .

إنه كشف للوجود وللحقيقة .. وكشف للانسان ..

الانسان الحق .. حقيقة الانسان .. سره العظيم .. وسر علاقته بالكون .. سر تميزه .

ولذلك فالحب يجعلنا نعرف ونصل ونتحقق وندرك .. إنه القدرة الفائقة على الفهم والاحساس والادراك . تتسع أعيننا بأمتداد السماء والأرض بل بإمتداد الكون كله فنحيطه رغم إتساعه ولا نهائيته . ونرى موقعنا بوضوح بالنسبة لهذا الكون العظيم .. ندرك علاقتنا بالأرض وعلاقتنا بالسماء .. علاقتنا بمن فى الأرض ومن فى السماء .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يجعلك مخلصاً دون أن تدرى إنك مخلص .. يجعلك وفياً .. يجعلك تسعد بعطائك دون أن تنتظر مقابلا .. تتفانى .. تتعاطف . تشفق .. ترحم .. تود .. تتواضع .. تتسامح .

أى إعادة خلق . تشكيل جديد . ولذا تشعر بالسمو . تشعر أنك تحلق .. إنه ببساطة يجعلك تكتشف أعظم مافى نفسك ..

ترى أنك جميل وبديع حقاً . تكتشف أنك كنت مؤهلاً لكل ما هو سامٍ ورفيع وجميل . تشعر أنك تزخر بكل القيم الأخلاقية العليا .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يتيح لك أن تصعد وتصعد .. أن تسمو وتسمو .. تعشق الفضيلة والخير .. إنك تريد أن تحقق لمحبوبك صدق توقعاته فيك ومنك .. إن محبوبك يراك أهل لكل خير . وأنك مؤهل لكل خير .. ولذلك فالحب سعى نحو المثل العليا .. نحو الكمال . وهذه هى القدرة الابداعية فى الحب . ولذلك فأنت تنمو وتتطور وتتغير . تكتشف الانسان المثالى فى داخلك . وتجد يد حبيبك ممدودة لك لتصعدا معاً . تكتشف سرك الحقيقى الذى جعل محبوبك يُفتن بك . إنك مُخبر صادق .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يمنحك الطاقة . القوة . الايمان . يملأك بالحماس . وذلك من أجل أن تهب حياتك لشخص واحد هو محبوبك . وتفيض منك إرادة الخير على الغير فتصبح مصدراً حقيقياً للخير . تستحيل حياتك من أجل غيرك . تتجرد نهائياً من أى شوائب للانانية والتمركز حول الذات .

ستندهش لتلك الامكانيات الهائلة التى لديك لتعمل وتنهض وتبدع وتضيف . لامن أجل نفسك بل من أجل من تحب . ولهذا تفقد كل رغبة فى أن تكون مالكاً لشيء أو تتحكم فى الآخرين أو تفرض سطوتك . ستكتشف أن القانون الأعظم لتسيير الكون هو العطاء

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا؟

ستشعر بسعادة عميقه لان انسانا آخر إكتشف حقيقتك الرائعة . ولولا الحب لما إستطاع هذا الانسان أن يتغلغل داخلك . بالحب وحده إستطاع هذا الانسان أن يعرف قدرك . وإستطعت أنت أن تعرف قدر نفسك . حبيبك هو أصدق مرآة ترى فيها ذاتك الحقيقية . ذاتك الجميلة المثالية .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يجعلك تهدأ بعد أن كنت ثائراً متحفزاً تلهث .. إيقاع الحياة كلها يهدأ . ثم لايعنيك توحش الحياة والبشر وتدافعهم وتكالبهم . ثم لايعنيك ما تعانى من ضغوط ومشاكل ونقص .. ثم لاتقلق لقصر الحياة وزواليتها ..

إن الدنيا كلها تصبح هى حبيبك .. هو ما يعنيك وهو أهم شيء وهو كل شيء . هو الدنيا . وهو المدلول .. وهو المعنى .. وهو الهدف .. وهو الاستقرار .. وهو الخلود .. وكل ما عداكما وكل ماهو خارج حدودكما معا لايهم ..

كل شيء يفقد قيمته أمام أهم حقيقة وهى أنكما معاً .. معه لاتعنيك جحيم الحياة ومخاطرها . تمتلك نفسك تماماً وتتماسك ويبعد عنك أى شعور بالضياع .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك أنت .. أنت كما أنت .. أنت دون تكلف .. دون أن تحاول أن تبدو في صورة أفضل .. أن تكون على طبيعتك . على ما أنت عليه .. ذاتك الحقيقية . مظهرك الحقيقى .

وهذا هو سر جمالك . وتلك سعادة حقيقية أن تشعر أن هناك من إختارك ضمن الملايين وأنت على ما أنت عليه . وأنت لم تبذل جهداً .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك تشعر بالاكتمال .. تشعر أنك عثرت على نصفك الآخر .

كيف تعثر على هذا النصف من ضمن ملايين البشر ؟ ! إنك بلاشك إنسان محظوظ .. محظوظ حقاً .. هناك من يظلوا غير مكتملين تائهين مدى حياتهم .

وأليس غريباً أن يكون نصفك الآخر من الجنس الآخر ؟ !

إن هذا يكشف عن الثنائية الخالدة . ثنائية الوجود والتواجد على الأرض .

الرجل والمرأة .. معاً .. كيان واحد .. لابد أن يكونا معاً في وحدة واحدة .. عاشق ومعشوق .. محب ومحبوب .. عابد ومعبود .. خالق ومخلوق ..

إن الوجود كله يتكثف عند نقطة واحدة . عند لحظة واحدة . عند معنى واحد . عند منحى واحد . ألا وهو حب رجل وإمرأة .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك تعرف روعة أن تشتاق .. أن تحن .. أن تسعى لرؤية محبوبك .. أن تكون مستعداً أن تدفع كل شيء وتتخلى وتتنازل عن كل شيء في سبيل أن تحظى بلحظة معه .. تراه .. تأتنس به .. تسمر معه .. تتشاركان .. متعة أن تنتظر وتترقب وتتطلع .

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يحررك من التبعية لأى شيء .. لأنك بهذا الحب تولد من جديد .. إعادة خلق .. صفحة جديدة بيضاء لست مديناً فيها لأحد .. تسترد أنفاسك .. تستجمع كل قواك .. تلملم ذاتك . حرية .. إرادة .. قوة .. شجاعة .. إيمان .. إصرار .. تصميم .. حماس .. هدف .. معنى .. قيم .. إبداع .. إزدهار .. رؤية جديدة .. فكر جديد .. طريق جديد .. إختيارك .. ارادتك ..

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يجعلك تشعر بلذة أن يشاركك أحد حياتك . أنها رؤية جديدة للحياة مع إنسان يرى أن وجودك أهم شيء بالنسبة له فى الحياة .. إنسان يرى أنك أهم أنسان فى الدنيا .. وأنت أيضاً تراه بنفس الطريقة .. تراه قيمة ومثل أعلى .. جميل وبديع وساحر ورائع وأخاذ وجذاب وهائل وعظيم وقدير وفنان ..

تصور أنك تشارك هذا الانسان الحياة .. الخبرات المشتركة .. الاماكن ..الشوارع .. الأغانى .. الكتب .. الحكايات .. الايام .. الليالى .. المشاكل .. المتاعب .. الصعاب .. الاحزان .. الآلام .. الأفراح .. الانتصارات .. كل الحياة .. كم تكون الحياة ممتعة بمشاركة هذا الانسان .

ماذا يفعل الحب بنا ؟

إنه يتيح لك أن تسكن إلى إنسان تلقى منه المودة والرحمة .. يتيح لك إنسان تستطيع أن تعتمد عليه إعتماداً كاملاً بكل ثقة وطمأنينة .. إنسان تستطيع أن تمشى وراءه وأنت مغمض العينين . يالها من سعادة .. سعادة الطمأنينية ..

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا؟

تغير خطير يحدث داخلك وهو أنك تعود مرة ثانية تثق بالحياة وتثق بالانسان . يجعلك قادراً على رؤية الشيء الطيب الحسن الموجود عند كل إنسان ويجعلك قادراً على التعامل مع هذا الجزء وإستثماره .

وفى ذلك شعور بالراحة والطمأنينه . إنها رؤية الجمال الحقيقى فى الحياة .. تنعم بالنظر إلى براءة الوردة مثلما تنعم برؤية البراءة داخل كل إنسان ..

إنه يجعلك تثق بسيادة الخير عند كل انسان .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا ؟

يجعلك تكتشف واحدة من أعظم القيم الإنسانية التى تمنحك الاستقرار والطمأنينة ألا وهى الوفاء .. أى خلود أصدق المشاعر .. إن وفاء حبيبك لك هو تاج تضعه على رأسك .

ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه يكشف عن قدرة عظيمة تمتلكها وهى أنك أتحت لأنسان آخر أن يرى ذاته على سرآتك .. ساعدته على كشف نفسه .. وأنت أيضاً تعرفت على ذاتك من خلاله وإكتشفت أنه يستحق منك أن تعطيه كل حياتك فهو قد أتاح لنهر الخير عندك أن يتدفق وأن يجد مصباً يتشربه .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا؟

الحب هو سر نجاحك فى علاقاتك بالناس : لقد إستخدمت هذه الطاقة العاطفية الهائلة التى ولدها الحب فى داخلك للتأثير على الآخرين فاكتشفت أن القلوب تلين والعقول تتفهم وتقتنع والأبواب تتفتح .

□ □ □

ماذا يفعل الحب بنا؟

إنه جعلك تحب إنساناً لذاته وليس لصفاته .. وهذا يعلمك أعظم دروس الانسانية وهى أن تهتم بأى إنسان لأنه إنسان سواء إذا كان طيبا أو سيئاً .. أن تهتم بالانسان كإنسان لا كأداة تستخدمها أو وسيلة تستغلها .. إنه يعلمك ألا ترى الناس مثلما ترى الأبيض والاسود .. إنه يبعدك عن تقسيم البشر إلى أخيار وأشرار .. الانسان قبل كل شىء .

إكتشفت أنه ببطاقة الحب تتحول التكشيرة إلى إبتسامة والعداوة إلى مودة والعناد إلى مرونة .

الحب أهداك مفاتيح القلوب والعقول .. إكتشفت قدرة هذا النور الالهى على تغير النفوس .. الحب يولد حباً .. والخير يبعث خيراً .

رسـالة الختـام

أنا معـك ..

د . عـادل صـادق

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

صدر للمؤلف

* أسرار في حياتك
* أسرار في حياتك وحياة الأخرين
* مفهوم الطب النفسي
* مباريات سيكولوچية
* حكايات نفسيه جزء أول
* حكايات نفسيه جـزء ثانى
* الطب النفسي
* في بيتنا مريض نفسي جزء أول
* في بيتنا مريض نفسي جزء ثانى
* الادمان له علاج
* الألم النفسي والعضوي
* حياتي عذاب
* إمرأة في محنه
* معني الحب
* الغيرة والخيانة
* روعة الزواج
* الطلاق ليس حلاً
* متاعب الزواج
* قصص نفسية
* الرجل أول من يشكو
* أنت العذاب يا زوجى العزيز
* مشكلات نفسية جزء أول
* مشكلات نفسية جزء ثانى

تحت الطبع

* ما بعـد العشــق ..
* علمتني الحياة ..
* عقل جمال عبد الناصر
* الزعيــم ..